الفصل الرابع

النقابات ودورها في حماية التجار ورعاية مصالحهم بالأسواق

ويشتمل على :

(١) الأصول الأولى للنقابات وتطورها .
(٢) دور النقابات في تحديد أنواع المصنوعات التي تتواجد بالأسواق .
(٣) شروط إتقان الصنعة .
(٤) التدرج الوظيفي لأعضاء نقابات الحرف .
(٥) التنظيم النقابي للعمل .
(٦) تحديد طرق البيع وأنواع المكاييل والمقاييس والموازين .
(٧) تحديد تكاليف الإنتاج وأسعار البيع .
(٨) حماية تجار السوق من السلطة الحاكمة .
(٩) الدور الاجتماعي للنقابات .
(١٠) العصبة الهانزية (أو اتحاد الهانزا) .
(١١) مساوئ النقابات ومثالبها .

(١) الأصول الأولى للنقابات وتطورها :

لعبت النقابات دورا بارزا في حياة المدن في أوروبا العصور الوسطى، إذ سعت هذه النقابات للحصول على براءات تنص على حرية المدينة من سادتها الإقطاعيين، على أن دورها كان أكثر بروزا في تنظيم الحياة الاقتصادية داخل المدن وحماية التجار ورعاية مصالحهم من خلال الحصول على عدد من الامتيازات التي تكفل لهم حرية المتاجرة والحماية داخل المدن وأسواقها كذلك. كان الملك أو السيد الإقطاعي أو رئيس الأساقفة يقوم بمنح البراءات للمدن متضمنة حقهم في إقامة نقابة أو اتحاد للتجار، من ذلك أن الملك حنا John (٥٩٦-٦١٣هـ/١١٩٩-١٢١٦م) ملك انجلترا، قام بمنح مدينة دونويش Dunwich ، براءة تشتمل على عدد من الامتيازات منها الإعفاء من الضرائب ورسوم العبور عبر أراضي المملكة وعلى رأس هذه الامتيازات كان قيامه بمنحهم حق إقامة "اتحاد تجار" كما هم معتادين عليه[١].

يتضح لنا أن الاتحاد كان موجودا بالفعل بدليل قوله "كما هم معتادين عليه"، إذ أن العادة جرت على أن تنص البراءات التي حصلت عليها المدن على حق تجارها في تأليف نقابات أو اتحادات، فإن لم تنص على ذلك فمن البديهي اعتبار أن النقابة كانت موجودة بالفعل قبل حصول المدينة على براءتها، لأن ما كان يحدث في كثير من الحالات هو أن يقوم التجار بتأليف نقابة لهم لتقوم هذه النقابة بعد ذلك بمفاوضة السيد الإقطاعي من أجل الحصول على براءة تضمن للمدينة حريتها[٢].

على أن الملوك كثيرا ما كانوا يقومون بإعطاء حق منح البراءات لرؤساء الأساقفة أو للسادة الإقطاعيين على أن يقوم هؤلاء بمنحها للمدن بموجب هذا الامتياز المخول

([1]) King John's Charter of Privileges to Dunwich. In: Stubbs, Select Charters of English; A.D. 1200, P. 308.

قد كانت النقابات من العوامل التي شجعت على ازدهار التجارة بصورة كبيرة. عن ذلك انظر: هناء الراشد، التاريخ السياسي لإمارة قطالونيا، ص٤٢٥-٤٢٧.

([2]) Painter, Ahistory of the middle ages, P. 228.

سعيد عاشور، تاريخ أوروبا، ج٢، ص١٠٢.

إليهم من السلطة الملكية[١]. من ذلك قيام ثورستان Thurstan رئيس أساقفة يورك York بمنح براءة لبيفرلي Beverley بموجب السلطة المخولة إليه من الملك هنري الأول Henry I ملك انجلترا، والتي تجيز له القيام بذلك[٢]. وقد صيغت هذه البراءة الممنوحة لمدينة بيفرلي Beverley على غرار البراءة الممنوحة لمدينة يورك York ، والتي اشتملت على منح اتحاد التجار نفس اللوائح والجمارك التي منحت لهذه المدينة من قبل الملك هنري الأول Henry I نفسه[٣]. إذ أكدت هذه البراءة الممنوحة لمدينة بيفرلي Beverley من رئيس الأساقفة عام ٥٢٥هـ/١١٣٠م، على منحهم الحق في أن يكون لهم اتحادهم الخاص بهم وأن ينفذوا قوانينهم من أجل تحسين المدينة على غرار قوانين وحريات اتحاد يورك York[٤] .

سعت النقابات لدى السلطة الحاكمة من أجل الحصول على امتيازات تكفل لهم حرية التجارة داخل مدنهم، بل إنهم تطلعوا إلى أكثر من ذلك بأن رغبوا في الحصول على حقوق تقتصر على الأفراد التابعين للاتحاد فقط، حتى نجحوا في تحقيق الكثير مما سعوا إليه[٥]، الأمر الذي يوضح لنا مدى أهمية النقابات والاتحادات في مدن أوروبا العصور الوسطى، وسعيها الدائم والدؤوب من أجل تحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية، وأن تجعل من نفسها صاحبة السلطة والرقابة الفعلية على تسيير أمور التجارة والإشراف على التجار من باعة ومشترين أيضا داخل الأسواق في المدن، إذ قام اتحاد التجار في الكثير من المدن بوضع العديد من الأسس والقوانين التي تحكم عملية البيع والشراء بالصورة التي تضمن حقوق رجال الاتحاد ثم حقوق كل من البائع والمشتري بهدف تسيير العملية التجارية بشكل مقنن، على أن من يخالف هذه القوانين

---

(1) Archbishop Thurstan's Charter of Beverley. In: Stubbs, Select Charters of English; A.D. 1130, PP. 131 – 132.

(2) Stubbs, Select Charters of English; A.D. 1130, PP. 131 – 132.

(3) Cave, Coulson, A Source Book, P. 203.

(4) Stubbs, Select Charters of English; A.D. 1130, PP. 131 – 132.

(5) Gross, The Gild Marchant, Vol. I, A.D. 1200, P. 293.

يتعرض للعقوبة والتي قد تقتصر على دفع غرامة مالية أو أن تتعدى ذلك بأن يغادر المدينة أو أن يمنع من التجارة لمدة عام باعتباره مجرما[١].

كان لأهمية الدور الذي لعبته النقابات في الحياتين السياسية والاقتصادية في أوروبا العصور الوسطى ما جعلنا نقف لنتساءل عن أصل النقابات ونشأتها؟

ولأن هذا الموضوع صادف وجهات نظر مختلفة خاصة ما يتعلق بنقابة التجار ومكان قيامها وعلاقتها بحكومة المدينة مع التسليم بأنه لاخلاف حول أهميتها ووظيفتها المهمة[٢].

فهناك من الباحثين من يرجع نظام النقابة إلى أصول جرمانية بدائية وإلى الأخوة في الدين وأن كلمة النقابة أول ما ظهرت كانت في مراسيم شارلمان Charlemagne[٣] الذي وافق على إقامتها[٤].

وتشير سجلات العديد من المدن الأوروبية إلى وجود النقابات بها قبل العصور الوسطى، إلا أنها تعرضت للتدمير بسبب الهجمات الجرمانية وما أعقبها من انحلال. ولكن بعضها على ما يبدو، بقى في إقليم لومبارديا Lombardy بإيطاليا، وعندما انتعشت التجارة والصناعة في القرن الحادي عشر الميلادي، بعثت النقابات الطائفية من جديد، وأخذت تتوالى في الظهور في مدن أوروبا العصور الوسطى[٥].

([1]) Gross, The Gild Merchant, Vol.I, A.D. 1251, P. 294.

([٢]) ج. كرامب وأ. جاكوب، تراث العصور الوسطى، ترجمة/ سعيد عاشور وآخرين، ج٢، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٦٢٥.

([٣]) بيشوب، تاريخ أوروبا، ص٢٢٦.

([4])Duruy, Histoire du Moyen age, P. 354.

([٥]) محمود عمران، حضارة أوروبا، ص ص١٧٥-١٧٦.

لمزيد من التفاصيل عن نشأة النقابات وتطورها انظر:

- Firebaugh (W.), The Inns of the Middle Ages, Chicago, 1924.
- Renard (G.), Guilds in the Middle Ages, tr. by G.H.D. Cole, London, 1919.
- Unwin (G.), The Gilds and Companies of London, 1988.

=

وهناك من يرى أن أصل الاتحادات، وبخاصة اتحادات التجار، ربما تطورت من اتحادات اجتماعية أو جمعيات تجار تكونت في البلاد الساحلية. غير أن اتحادات لندن London، من المحتمل أن تكون تنظيمات مفروضة عليهم من قبل السلطة الملكية[١].

يتضح ذلك من خلال المراسيم الإكليروسية Capitulary التي صدرت في فيرنيل Verneuil[٢].

نظرا لأن التجار بطبيعتهم كانوا يميلون للتجمع من أجل الحماية من الأخطار التي يتعرضون لها في أسفارهم، لذا فقد لجأوا إلى تنظيم الاتحادات التي تدعى بالنقابات Gilds أو الهانزا Hanses[٣].

أنواع النقابات أو الاتحادات :

انقسمت النقابات إلى نوعين: نقابات التجار والنقابات الحرفية. إذ في الوقت الذي تزايد فيه السكان في المدن بسبب الزحف والهجرة لدوافع اقتصادية، الأمر الذي أدى إلى فقدان البنية الاجتماعية تماثلها أخذ التجار يتحالفون ويتجمعون عندما ازدهرت التجارة لتجهيز القوافل الموسمية. كما قام البائعون بالتجزئة والحرفيون المتخصصون في تصنيع المنتجات أو في توزيعها وترويجها بالتجمع في هيئات وشكلوا ما سمي بالجمعيات الحرفية[٤]. بيد أن أولى هذه النقابات ظهورا كانت نقابات أو اتحادات التجار.

=

- Arias (G.), II Sistema della Costituzione economica e Sociale italiana nell'eta dei comuni, Turin, 1905.
- Staleyt (E.), The Guilds of Florence, London, 1906.

([1]) Early Gilds. In: Cave, Coulson, ASource Book; P. 194.

([2]) Capitulary given at Verneuil: in, M.G.H., Legum, Sectio II, Tome II, Alfredus Boretius and Victor Krause, Eds. Hanover, 1897, A.D.884, P. 375.

([3]) Cave, Coulson, A Source Book; P. 193.

- Stephenson, Medieval History, PP. 241 – 242.

([4]) Duby, Mandrou, Histoire de la Civilisation; P. 183.

أولا : اتحادات التجار :

أخذ التجار يتحدون معا من أجل خدمة مصالحهم الاقتصادية داخل المدينة. لذا فقد سعوا لدى السلطة الحاكمة من أجل الحصول على براءات تعطيهم الشرعية، والامتيازات في نفس الوقت. فاستجاب لهم الملوك وأغدقوا عليهم البراءات، وكان على رأس هؤلاء الملوك، الملك حنا John صاحب أكبر المنح شيوعا، فقد تضمنت براءاته إعطاء التجار حق إقامة اتحاد حتى وإن كان موجودا من قبل حتى يتمتعوا بالشرعية من جهة إلى جانب التمتع بكافة الحريات والأعراف الحرة في سلام وبدون أدنى عائق مؤكدا إياها بشهادة الشهود(١).

كما نجحوا بالفعل في الحصول على براءات تكفل لهم حرية المتاجرة من خلال ما تضمنته من امتيازات تسهل لهم العملية التجارية كالإعفاء من الضرائب وحرية الإبحار والعبور بين الموانئ المختلفة حاملين بضائعهم دون خوف، فقد أصدر الملك هنري الأول Henry I مرسوما لميناء الروين Rouen يلزم كل نورماني Normandy يريد الإبحار إلى إيرلندا Ireland(٢) ، أن يأخذ طريق الروين Rouen إلا في حالة واحدة وهي حين سمح لهم بالإبحار عن طريق تشيربورج Cherbourg(٣) ، مرة كل عام(٤). ولا شك أنها عادت على انجلترا بنتائج اقتصادية مهمة.

كما تضمن مرسوم هنري الأول Henry I للروين Rouen على ميزة أخرى مهمة وهي إعفاء رجال اتحاد التجار في المدينة من الجمارك في لندن London ما

---

(1) Stubbs, select Charters of English; A.D. 1200, P. 308.

(٢) فقد كانت إيرلندا Ireland جزيرة غنية بالمزارع والمراعي والعسل واللبن وغيرها من المنتجات. عن ذلك انظر:

See: Giraldus Cambrensis, London, 1894, About, A.D. 1187, P. 21.

(٣) تشيربورج : هي محطة بحرية، ومدينة محصنة وميناء بحري يقع شمال غربي فرنسا بمنطقة نورماندیا. عنها انظر:

The New Encyclopaedia, Vol. II, P. 805.

(4) Charter of Henryito Rouen: in; Gross, The Gild Merchant, Vol. I, A.D. 1150, P. 292.

عدا الخمر والسمك المعد للجهات الملكية[1]. مما يعطي لمحة عن الامتيازات التي كان يختص بها اتحاد التجار دون غيرهم من سكان المدن. كما اشتمل المرسوم على أن كل موطني الروين Rouen يحق لهم استخدام ميناء دون جات Dunegate في لندن London وفق ما كان متبعا منذ عصر الملك إدوارد Edward[2] (٤٣٤-٤٥٩هـ/١٠٤٢-١٠٦٦م) مع منحهم الحق في أنه في حالة وجود سفينة من السفن لا يرغبون في بقائها بالميناء، ويصدرون أمرهم بذلك. فكان عليهم الانتظار مدة يحددونها لها، فإن لم تنفذ الأمر، فقد سمح لهم بقطع الاتصال بين هذه السفينة والخارج، وسحبها بالقوة دون أن يتعرضوا للمساءلة القانونية، حتى لو تعرضت هذه السفينة – بسبب ذلك – إلى أي نتائج سلبية[3]. وهذا يبين المكانة الخاصة لهذه المدينة دون غيرها.

لعل ما سبق يعطينا صورة واضحة عن أهمية مثل هذه المنح والمراسيم التي كانت تمنح من السلطة الحاكمة للمدن خاصة اتحادات التجار بها.

اختصاصات النقابات التجارية ومهامها :

كان غرض التجار من تأليف النقابات هو حماية أنفسهم من اعتداء الأمراء من جهة، ورعاية مصالحهم التجارية في الأسواق البعيدة من جهة أخرى. كذلك أخذت نقابات التجار تنظم شئون التجارة داخل مدنها، ففرضت على كل فرد خارج النقابة يريد مباشرة نشاط تجاري في المدينة أن يخضع لتعاليم النقابة وأن يدفع رسما معينا مقابل السماح له بمزاولة عمله. وحرصت كذلك على حماية مستوى الإنتاج والبضائع والتمسك بالأمانة وعدم الغش[4]. إذ يمكن القول بأن

---

(1) Gross, The Gild Merchant, Vol, I. A.D. 1150, P. 292.

(٢) الملك إدوارد Edward : هو إدوارد التقي سليل الملك أثلرد، الذي تعرض للنفي في نورمنديا عند أخواله بعد زواج أمه إما من كانوت الذي تولى عرش انجلترا (١٠١٣-١٠٣٦م) ثم بعد وفاته أرسل إلى إدوارد، حيث تولى عرش انجلترا عام ١٠٤٢م ليكون آخر الملوك في سلالة ألفرد العظيم. عن ذلك انظر: نظير سعداوي، تاريخ انجلترا، ص٥٦.

(3) Gross, The Gild Merchant, Vol. I. A.D. 1150. P. 292.

(٤) نعيم فرج، الحضارة الأوروبية، ص١٣١.

نقابات التجار التي ظهرت في حوالي القرن الحادي عشر الميلادي، كان جميع أعضائها يتكونون عموما من ملاك رئيسيين للأراضي وتجار عقارات، في العديد من المدن، وكانت حكومة المدينة بالكامل في أيديهم[١].

وكانت عبارة عن هيئات تعمل صراحة لفرض قيود على التجارة، فكانت عادة تجبر المدن التي توجد فيها على منع دخول السلع التي تنافس إنتاجها بفرض الضرائب الجمركية المرتفعة أو بغيرها من الوسائل[٢].

من ذلك الحقوق الممنوحة لاتحاد دبلن Dublin[٣] والتي من خلالها استطاعوا تحديد العلاقات بين التجار الأجانب والمحليين، وتحديد كيفية التعامل مع تجارة التجزئة والجملة مع الغرباء وحدودها في المدينة هي الحقوق العامة لكل الاتحادات[٤]. فنصت براءة اتحاد دبلن Dublin على ما يلي:

أنه لا يحق لتاجر أجنبي أن يشتري من تاجر آخر داخل المدينة قمح، وجلد أو صوف ولكن يشتري من المواطن. وألا يكون هناك حانة خمر لأجنبي إلا على سطح سفينة، وألا يبيع الأجنبي القماش بالتجزئة في المدينة. وألا يتجول تاجر أجنبي ببضاعته لبيعها داخل المدينة إلا في حدود أربعين يوم فقط[٥].

من خلال الحقوق الممنوحة لاتحاد دبلن Dublin يتضح لنا بعض الامتيازات النمطية لاتحادات التجار، فبمثل هذه القوانين وغيرها يستطيع أي اتحاد أن يحافظ على حقوق التجار المحليين داخل سوق المدينة، كذلك يستطيع بها أن يقنن ويحدد الحدود المسموحة للتاجر الأجنبي لممارسة البيع والشراء داخل سوق المدينة الوافد عليها.

---

(1) Myers, Medieval and Modern History; P. 154.

(٢) محمود عمران، حضارة أوروبا، ص١٧٦-١٧٧.

(٣) دبلن : كونتية في منطقة Leinster. يحدها شمالا كونتية Meath، والبحر الأيرلندي شرقا، وكونتية Wicklow جنوبا، وكونتيات Kildare و Meath غربا. عنها انظر:

The New Encyclopaedia; Vol. III, P. 684.

(4) Rights of the Dublin Gild. In; Cave, Coulson, A Source Book, PP. 207 – 208.

(5)Gross, the Gild Merchant, Vol.II, A.D. 1192, P. 59.

كان للنقابة الحق في ألا تسمح لأي تاجر أجنبي أن يقوم بالتسويق لبضائعه وحده أو مع شريك له لإعادة بيعها داخل المدينة، وألا يقترب من أي مواطن بهدف عقد صفقة، بل لا يظل مدة أطول من المدة المحددة لبقائه بالمدينة[١].

من هذا يتضح أن حق إقامة سوق داخل المدينة اقتصر على رجال نقابة التجار أو تجار المدينة من مواطنيها فقط، دون أن يمنح مثل هذا الحق للأجانب القادمين إليها.

على أن أمر إقامة سوق كان يتم عن طريق البراءة التي يمنحها السيد للمدينة – سواء كان ملكا أو كونتا أو أسقفا أو رئيس أساقفة – والتي تعطيهم الحق في إقامة سوق، وهو ما يشبه التصاريح التي يمنحها مجلس كل مدينة في عصرنا الحاضر من أجل السماح بتخصيص قطعة أرض داخل المدينة لإقامة السوق عليها.

تعددت المنح التي منحها الملوك لإقامة الأسواق في جميع بلدان أوروبا ومنها قيام الملك هنري الأول Henry I في عام ٤٩٧ هـ/١١٠٣م بالسماح لراهبات دير ملنج Malling بإقامة سوق هناك كل يوم سبت طبقا للعادة المتبعة من قبل مما يدل على وجود السوق هناك قبل هذه المنحة[٢]. حتى أننا نرى أن هذه المنح الخاصة بإقامة الأسواق سهلت الحياة الاقتصادية التي يحركها التجار واتحاداتهم التجارية آنذاك.

أخيرا نستطيع القول: إنه كما كانت نقابات التجار أول الاتحادات ظهورا فإنها أيضا كانت أكثرها بقاء في بعض المدن، وقد تألفت هذه النقابات من مختلف أصناف التجار، كما ضمت أحيانا بعض أصحاب الحرف، بل بعض أصحاب الأراضي الزراعية المجاورة، وقد شملت عضوية النقابة في بعض الأحيان أفرادا من التجار الأجانب الذين يتاجرون في المدينة[٣]. إذ كان أعضاء نقابات التجار من التجار المحليين والأجانب، واقتصرت في بداية الأمر على تجار المدينة الواحدة ثم توسعت لتشمل تجارا من خارجها. وظلت حتى أواخر العصور الوسطى الصلة قائمة بين ممثلي السلطة وهيئات التجار[٤].

([1]) Thorpe,, Ancient Laws and Institutiones; A.D. 1115, P. 462.

([2]) Britnell, English Markets; Vol. 31, No. 2, P. 184.

([٣]) كرامب وجاكوب، تراث العصور الوسطى، ص١٢٥.

([٤]) نعيم زكي، طرق التجارة، ص٣٣٢.

ثانيا : النقابات الحرفية :

عند استقلال المدينة لم يكن بها إلا نقابة واحدة تضم كل سكان المدينة من تجار وصناع وعمال، يؤلف موظفو النقابة الهيئة الحاكمة بها.

لكن بمرور الوقت احتدمت الخلافات على المصالح المادية والاقتصادية بين التجار والصناع. فالتجار الذين احتكروا البيع والشراء حصلوا على أرباح وفيرة تفوق بكثير ما حصل عليه الصناع الذين يصنعون السلع. وعلى هذا فإن الصناع استاءوا من التفاوت بين دخلهم ودخل التجار، فأخذوا ينسحبون بالتدريج من نقابة التجار ويكونون لأنفسهم نقابات مستقلة.

على أن إنشاء النقابات الحرفية كانت عملية بطيئة وطويلة الأمد امتدت منذ أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلاديين[١]. وهكذا أصبحت النقابة الأصلية هي النقابة التجارية، إلى أن أخذت تظهر نقابات حرفية في الصناعات الأكثر أهمية في معظم المدن عند نهاية القرن الثاني عشر الميلادي[٢]. ورغم بطء تطور النقابات الحرفية إلا أنها أخذت في النمو بسرعة مدهشة في القرن الثالث عشر الميلادي. فكان لكل حرفة نقابة خاصة بها وأصبح في كل صناعة مركبة نقابات مختلفة، مثلت كل نقابة منها عمليات الصناعة المختلفة. فكان هناك في صناعة القماش نقابات الغزالين، والحائكين، والقصارين، والصباغين[٣].

وعلى الرغم من أن أثرياء التجار كانوا يسيطرون على سياسة النقابات، إلا أنه بحلول القرن الثاني عشر الميلادي، وربما قبل ذلك، أصبح لبعض المدن أيضا منظمات لأصحاب الحرف. وقد حاولت بعض النقابات التجارية الإبقاء على الحرفيين وعدم تمكينهم من القيام بعمل منظمات خاصة بهم وحاولوا أيضا أن يقصوهم عن الحياة السياسية، غير أنها لم تتمكن من ذلك إذ قامت في بعض المدن الكبرى نقابات

---

(١) نعيم فرج، الحضارة الأوروبية، ص١٣١-١٣٢.

(2) Painter, History of the Middle Ages, P. 229.

(3) Painter, History, of the Middle Ages, P. 229.

لكل من التجار والحرفيين[١]. وعندما أصبح الإنتاج الصناعي للمدينة في حاجة إلى من ينظمه ويحميه، وارتفعت قيمة الصناع في المجتمع المدني قاموا بتكوين طوائف صناعية تهتم بشئونهم ومصالحهم، ولعل بعضها كان يقوم في البداية على أساس ديني كإقامة الصلاة وغيرها. إلا أنه لم يلبث أن أصبح أمرا اجتماعيا واقتصاديا. فقد قامت هذه النقابات نتيجة رغبة الصناع في حماية أنفسهم واهتمام الإدارة أو السلطة بتنظيم أعمالهم[٢].

لعل من الأسباب التي جعلت أصحاب الحرف الصناعية يقومون بإنشاء نقابات خاصة بهم ومنفصلة عن سلطة نقابات التجار كان راجعا إلى أنهم كانوا ممنوعين عادة من الانضمام إلى نقابات التجار، وإن كانوا خاضعين لنظمها الاقتصادية وسلطانها السياسي، ولهذا أخذوا منذ القرن الثاني عشر الميلادي، وربما قبل ذلك، يؤلفون في كل بلدة نقابات طائفية خاصة بهم، فنجد في عام ٤٩٣هـ/١٠٩٩م نقابات لطوائف النساجين من لندن London وأكسفورد Oxford وحذا حذوهم بعد فترة قصيرة القصارون ودباغو الجلود والقصابون والصياغ، وقد انتشرت هذه النقابات الطائفية خاصة في القرن الثالث عشر الميلادي، في جميع أنحاء أوروبا وقد سميت بأسماء مختلفة كأرباب الحرف، والجماعات، وقد وجد منها بالبندقية حوالي ستين نقابة، وفي جنوة حوالي ثلاثين، وفي فلورنسا حوالي عشرين نقابة[٣]. منها سبع نقابات كبيرة وست عشرة نقابة صغيرة[٤].

كانت الوظائف الأساسية لنقابات الحرف تماثل تماما الوظائف الأساسية للنقابات

---

(١) على أن باريس لم ينطبق عليها ذلك تحديدا، لأنها كان يوجد بها نقابات للجزارين، والسماكين، والخبازين وذلك في القرن الثاني عشر الميلادي. وربما وجدت بها منظمات أخرى مستقلة عن نقابات التجار، لكن تم تسجيلها وتوثيقها في القرن الثالث عشر الميلادي.

Nicholas, The Evolution of the medieval world, P. 304.

(٢) نقولا زيادة، عالم العصور الوسطى، ص١٩٣-١٩٤.

(٣) محمود عمران، حضارة أوروبا، ص١٧٨.

(٤) نقولا زيادة، عالم العصور الوسطى، ص١٩٤.

التجارية[1]. فالهدف من نقابة أرباب المهن كان مثل أي اتحاد تجاري، هو تحقيق الخير لأعضائها وضمان تشغيلهم بالكامل بأعلى الأجور عن طريق وضع شروط محددة لعضويتها. كما أدى ذلك إلى احتكار محلي في الإنتاج، مما شجع على عدم خلق منافسة بين أعضاء النقابة، ووضع حدا للإضرابات العمالية[2].

كان الصناع قبل تحالفهم وقيامهم بتكوين النقابات في العصور الوسطى، عبارة عن مصنعين نمطيين يعملون لحساب أنفسهم في محلاتهم وينتجون سلعهم ويقومون ببيعها مباشرة إلى العامة بأنفسهم[3]. ذلك عندما كانت نقابات التجار هي التي تسيطر على حكومة المدينة بصورة كاملة، لكن عندما أخذت مصالحها تتعارض معا بدأ الصناع يتمردون على سلطة نقابات التجار، وأخذوا يشكلون اتحادات منفصلة خاصة بهم على غرار ونفس نموذج نقابات التجار السابقة[4]. إلا أن ذلك لم يمكنهم من الاشتراك مع نقابات التجار في ممارسة السلطة داخل حكومة المدينة، لذا فإنهم عندما أخذوا في النمو بصورة سريعة، وأصبحوا يمتلكون القوة، فإنهم دخلوا في صراع مرير ومر مع أرستقراطي نقابات التجار من أجل المشاركة في الحكومة البلدية، والمشاركة مع النقابات التجارية في احتكار التجارة[5].

تميز القرنان الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين بحدة الصراع والمقاومة في أوروبا، فخلال هذه الفترة شهدت المدن أعمال شغب واضطرابات عنيفة بين الطرفين، إلا أن الصراع انتهى بتحقيق النصر للحرفيين على التجار، وصار لهم الحق في مشاركة التجار في السلطة داخل حكومة المدينة[6].

مهد ظهور نقابات أصحاب الحرف لفصل التجارة عن الصناعة، إذ مع تقدم الحياة

---

(1) Painter, History of the Middle Ages; P. 229.

(2) بيشوب، تاريخ أوروبا، ص٢٢٦-٢٢٧.

(3) Hollister, Medieval Europe; P. 148.

(4) Myers, Medieval and Modern history, P. 154.

(5) Myers, Medieval and Modern history, P. 154.

(6) Myers, Medieval and Modern history, P. 154.

في المدن أخذت نقابات الحرف في التقدم والنمو، حتى أن البعض يذهب إلى أن نقابات إقليم الفلاندرز Flanders تعتبر أول من ابتكر نظام الحكومة المستقلة بالمدينة (القومون)، وذلك بعد ازدهار تجارة المدن هناك في القرن الحادي عشر الميلادي، على إثر انتعاش الصناعة لاسيما صناعة الأقمشة الصوفية، حيث قام سكان مدن الفلاندرز Flanders باستخدام الأراضي غير الصالحة للزراعة كمراعي للماشية، وتمكنوا بذلك من الحصول على قدر من الصوف يكفي لهذه الصناعة[١].

اختصاصات النقابات الحرفية ومهامها :

أخذ الصناع وأصحاب الحرف المختلفة، من بداية القرن الحادي عشر الميلادي، ينظمون أنفسهم في نقابات حرفية تمييزا لهم عن نقابات التجار، فكان هدفهم الحد من المنافسة، لذا فإنهم لكي يقوموا بضمان جودة سلعهم وضعوا شروطا صارمة للانضمام إليها وقوانين صارمة على الأسعار، والأجور، ومعايير الجودة، وإجراءات التشغيل[٢]. وقد حرصوا على عدم تقليل المرتبات، وزيادة ساعات العمل، وفتح المعارض والأكشاك أيام العطلات، ووصلوا إلى فرض زي موحد للصناع[٣]. وبهدف حماية الصناع داخل المدينة، فرضوا على التاجر الأجنبي ألا يشتري أقمشة مصبوغة، وألا يصبغ الأقمشة في المدينة، وألا يقوم بأي عمل خاص بالمواطنين[٤]. وبمثل هذه القوانين التي فرضتها حكومة المدينة ومن ورائها النقابات بكل تأكيد حافظت على حق الصناع الحرفيين داخل المدينة بقصرها هذا الأمر عليهم دون التاجر الأجنبي حتى أنها أجبرت التاجر الأجنبي الذي يقوم بإحضار أقمشة مصبوغة معه من خارج المدينة بهدف بيعها داخلها ألا يبيع بضاعته هذه على سبيل التجزئة، بل لابد أن يقوم ببيع أكثر من دستة في المرة الواحدة[٥]. وكان الهدف من وراء ذلك الحفاظ على مصلحة التاجر المحلي، ومن قبله صانعي الأقمشة وصباغيها من

---

(١) محمد مرسي الشيخ، النظم والحضارة، ص٩٣.

(2) Hollister, Medieval Europe; P. 148.

(3) Halphen, Peuples et civilisations histoire, P. 552.

(4) Thorpe, Ancient laws and Institutiones, A.D. 1115, P. 462.

(5) Thorpe, Ancient laws and Institutiones; A.D. 1115, P. 462.

الحرفيين كذلك، إذ أن الربح الذي سيحققه التاجر الأجنبي من وراء بيعه لبضاعته تلك عن طريق بيعها جملة، لن يرقى بكل تأكيد إلى مقدار الربح والمكسب الذي سيحققه لو قام ببيعها على سبيل التجزئة وليس الجملة، لذا فقد منعته من ذلك الأمر، حتى يتمكن التاجر المحلي من أن يأخذ هذه البضاعة من التاجر الأجنبي بالجملة، ثم يقوم بعد ذلك ببيعها بالتجزئة أو بالجملة الأمر الذي سيعود عليه بالربح الوفير. وليس بمستبعد أن تكون النقابات نفسها قامت بشراء البضاعة من التاجر الأجنبي لتقوم هي بعد ذلك بتوزيعها على التجار والباعة المحليين. فقد ذكر الأستاذ كولتون في كتابه، أن الصوف أو الجلد المدبوغ أو الخام عندما يورد إلى المدينة لبيعه، فإنه إذا قام أحد أعضاء النقابة بوضع قدمه على الصنف وعرض له سعرا فلا يجرؤ أحد من خارج أعضاء النقابة على شرائه، كما أن صاحبه لا يجرؤ على بيعه إلا لرجل من أعضاء النقابة، أو على بيعه له بأغلى من السعر الذي عرضه[١].

وقد عرض الأستاذ كولتون هذا الأمر باعتباره من مسالب وعيوب النقابات إذ ذكر أن الربح الناتج من البيع لا يعود لصالح المدينة، وإنما لصالح أولئك الذين ينتمون إلى هذه النقابة[٢].

كانت المهنة أو الحرفة في أوروبا العصور الوسطى، عبارة عن مجموعة مغلقة، أخذت تسعى دائما من أجل أن تحافظ على الاحتكار أو الامتياز التجاري لبعض الأنشطة[٣]. مثل قصر حق قص القماش للبيع كتجزئة (أو قطاعي) على مجموعة من الرجال تعمل في هذه المهنة، وهم الذين يعرفون بقصاصي القماش، أو على أولئك المنضمين أو الأعضاء في اتحاد المدينة[٤]. وكانت الجماعة الحرفية يتم إدارتها بقانون يتم سنه وتطبيقه من خلال سلطة المدينة، لتجنب المنافسة التجارية، وللحفاظ

---

(١) عالم العصور الوسطى، ص١٩٦.

(٢) المقصود بهذه النقابة هي نقابة دربي Derby وذلك عام ٧٣١هـ/١٣٣٠م. انظر: كولتون، عالم العصور الوسطى، ص١٩٦.

(3) Duby, Mandrou, Histoiry de la Civilisation; P. 183.

(4) Gross, The Gild Merchant, Vol.I, P.293.

على الأمن، ولحماية وضمان حقوق المستهلكين بتحديد الأسعار ومراقبة الجودة[١]. ففي باريس عندما حدث تنوع كبير في تركيب النقابات المهنية التجارية، أصبح ضروريا بكل تأكد أن تراقب هذه النقابات، لذا فإن كل حرفة كان يشرف عليها من واحد إلى ثلاثة من رؤساء تلك النقابات وفي بعض الأحيان يساعده إثنان من العمال المهرة. على أن هؤلاء جميعا كانوا يخضعون لإشراف العمد الملكية لباريس فهم الذين يمارسون الإشراف على رؤساء النقابات[٢]. كما كان الحال في لندن فإن القساوسة وموظفي الكونت هم الذين يسنون القوانين ويشرفون على تنفيذها ويقومون كذلك بمعالجة المشاكل التي تحدث – كالسرقة – بطريقة قانونية[٣]. ونستطيع أن نستشف من ذلك أنهم كانوا يمارسون الإشراف على النقابات داخل السوق شأنهم في ذلك شأن العمد الملكيين في باريس. ففي انجلترا كان الملك يمنح رؤساء الأساقفة الحق في إصدار القوانين لأبروشياتهم حتى يتمكنوا من السيطرة عليها، فكان لرئيس الأبرشية حق منح البراءات التي تشمل المنح والامتيازات شأنه في ذلك شأن الملك نفسه[٤].

وإذا كنا قد تناولنا الحديث عن النقابات الحرفية داخل المدن، فإننا نتساءل لماذا لا تتم ممارسة الحرف اليدوية في الريف والقرى، كما كانت عليه من قبل بالفعل، ولعل ذلك يرجع إلى أن كثرة إنشاء المدن أوجدت أسواقا طبيعية لجميع أنواع الصناعات، فكانت ملائمة للقماش والملابس، والأحذية، والنعال، والجلود، والسلع المعدنية، وفوق كل ذلك لبناء المنازل، وأسوار المدن، وبناء الكنائس. وبالتالي فإن المدن كانت مكانا طبيعيا لجذب الحرفيين[٥]. ونتيجة الازدياد في التخصص أخذت أعداد النقابات في التزايد والتفرع في كل مدينة، حتى شملت جميع الصناعات والحرف، فأصبح هناك نقابة لكل الحرف تقريبا، من قماشين وصيارفة، وأطباء، وقصابين، وصناع الأحذية

---

(1) Duby, Mandrou, Histoiry de la Civilisation; P. 183.
(2) Singman, Daily Life in medieval Europe, P. 194.
(3) M.G.H., Legum, Sectio II, Tome II, A.D. 884, P. 375.
(4) Stubbs, Select Charters of English; A.D. 1130, PP. 131 – 132.
(5) Koenigsberger, A History of Europe; P. 221.

والسروجية، فضلا عن الخبازين، والزياتين، والنجارين، والحدادين، وأصحاب الفنادق[١]. كما صار هناك نقابات أيضا للجزارين وبائعي الدواجن وتجار الغلال والملح، وأصحاب المكابس والبنائين والسقافين والإسكافية وتجار الحرير والخردواتية وتجار الأنبذة والحلاقين والقضاة والكتبة والناسخين[٢]. كانت نقابات المهن التجارية تهدف إلى تقسيمها إلى مجموعات وفقا للمواد الخام التي يشتغلون بها وبالقدر الذي ينتجونه. ففي باريس تم وضع تفرقة بين صناع طرق الحديد وبين أولئك الذين يصنعون في شكل نحاس أو نحاس أصفر فيما يعرف بالتكفيت، وكانت هناك تنظيمات متفرقة للصناع المتنوعين لصنع خرزات الصلاة (السبح) معتمدين على ما إذا كانوا يصنعونه من العظام والقرن، أو من المرجان والصدف، أو الكهرمان والكهرمان الأسود، أو النحاس وسبائكه[٣].

أدى ازدياد التخصص في الصناعة إلى نشوب الكثير من الخلافات بين حدود واختصاص كل منها، ومن الأمثلة المشهورة على ذلك أنه حرم على صانعي الأحذية القيام بإصلاح حذاء مستعمل، إذ أن هذا من اختصاص الإسكافي، كما حرم على الإسكافي أن يصنع حذاءا جديدا، لأن ذلك من اختصاص صانع الأحذية، وذلك من باب احترام التخصص[٤]. وكان هناك في واقع الأمر أوجه اختلاف كثيرة بين النقابات وعملها. ومن أمثلة ذلك صانعي الأجراس والشعراء المتجولين وصانعي الشموع والباعة ومصلحوا الطرق والنساجون لذا كان من الطبيعي أن يكون لكل واحد منهم نقابة خاصة به[٥]. فقد سجلت أصغر مدينة في بواتييه poitiers[٦] تسع عشرة

---

(١) سعيد عاشور، تاريخ أوروبا، ج٢، ص١٠٤.

(٢) كرامب وجاكوب، تراث العصور الوسطى، ج٢، ص٦٢٦.

(3) Singman, Daily Life; PP. 193 – 194.

(٤) سعيد عاشور، تاريخ أوروبا، ج٢، ص١٠٤.

(5) Rwling, everyday life; P. 64.

(٦) بواتيه : تقع في المنطقة الواقعة غرب وسط فرنسا، في المنطقة المعروفة باسم بواتوه Poitou، في الجنوب الغربي من باريس. عنها انظر:

The New Encyclopaedia, Vol. VIII, P. 70.

نقابة في بداية القرن الرابع عشر الميلادي. وكانت تمثلها ثلاث هيئات منها معدات الركوب والألجمة والتي كانت من أفضل الصناعات المتطورة[١].

ومن أمثلة الانقسام المهني داخل النقابات الحرفية ما كان في انجلترا من أن نقابة واحدة بها كانت تضم ثلاثة أنواع من أرباب المهن الذين يعملون في السكاكين، من الحدادين الذين يصنعون النصال، وصناع السكاكين ومقابضها[٢]. كما كان هناك تدرج في النشاطات الحرفية، وهذا يتجلى بصورة خاصة في الاحتفالات الكبيرة الجماعية والتي يكون الحضور فيها في مواكب. فلم يكن الثراء والغنى سهلا وسريعا في كل الحرف، لأن مستوى المعيشة لم يكن متشابها في كل منها[٣]. فكانت نقابة صانعي الذهب في لندن أغنى النقابات، وكذلك الذين درجوا على الاشتغال بأعمال البنوك، ونقابة صناع القماش الذين جمعوا ثروات طائلة من الإتجار بالصوف[٤]، كان الاختلاف في مستوى المعيشة بين أصحاب الحرف يظهر كثيرا في المدن التي كانت تشمل التيارات التجارية المهمة، والتي كانت تقوم بتصنيع منتجات مخصصة للتصدير الخارجي، مثلما كان يحدث في آراس Arras، ودواي Douai، وفي ليل Lille إذ كان الصناع بهم مثل بقية الصناع والحرفيين الآخرين منتظمون في نقابات حرفية، ولكن رؤساء الصناعات الحرفية الصغيرة كانوا يعتمدون كلية على الموزعين الكبار الذين كانوا يمدونهم بالمواد الخام، ويلتزمون بتصريف وبيع منتجاتهم، وهؤلاء في الغالب أصحاب رؤوس الأموال وأحيانا يكونوا ملاكا وأصحاب الآلات التي يستخدمونها في الصناعة[٥]. على أن التخصص الذي حدث في نقابات أصحاب الحرف قد أدى إلى زيادة إتقان الصنعة ورفع مستوى العمل والإنتاج[٦].

مما سبق يتضح لنا أهمية كل من نقابات التجار ونقابات أصحاب الحرف في مدن

([1])Mundy, Europe in the high middle ages; P. 91.

([٢]) بيشوب، تاريخ أوروبا، ص٢٢٦.

([3]) Duby, Mandrou, History de la Civilisation; PP. 183 – 184.

([٤]) شيني، تاريخ العالم الغربي، ص١٥١-١٥٢.

([5]) Duby, Mandrou, Histoiry de la civilisation; P. 184.

([٦]) محمد مرسي الشيخ، النظم والحضارة، ص٩٤.

أوروبا العصور الوسطى، وكيف أن كلا منهما كان مؤهلا للقيام بالدور الذي قام من أجله، فقد سعت كل نقابة إلى حماية تجار السوق وتنظيم شئونه عموما مما يكفل الحماية الداخلية لكل من البائع والمشتري.

رؤساء النقابات :

كان لكل نقابة تنظيمات خاصة بها، وتدبر شئونها بنفسها عن طريق نواب يتم انتخابهم ويرأسهم المحلفون أو العمد[١]. مثلما كان يسيطر على النقابات الحرفية معلموا الحرف الذين يضعون أسس تحديد مستوى المنتجات الصناعية ويحددون الأسعار ويتحكمون تماما في الصناع والصبيان والعاملين[٢]. إذ كان لكل نقابة قوانينها ونظمها وخاتمها وعلمها وممتلكاتها وأموالها، كما كانت تتمتع بنفوذ سياسي واقتصادي كبير[٣].

كان يتم انتخاب رئيس النقابة من قبل الأعضاء النقابيين داخل المدينة ورجال الأعمال البارزين، ومن ذلك ما حدث في مدينة لندن عندما التقت جماعات النقابيين في المدينة وبشكل مهيب في قاعة مبنى النقابة القديم لكي يختاروا الرئيس العام للنقابة، وتركز عملهم على الاحتفال والاستعراض والعشاء الرائع. قد كانوا يتكونون من رجال الأعمال البارزين في المدينة، والذين ابتعدوا بعض الشئ عن التجارة حسبما ذكر ذلك أحد أعضاء جماعة صناعة الأحذية والمشتغلين بتجارة الجلود[٤].

يتضح ذلك من خلال اختيار رئيس لاتحاد التجار في إبويش Ipwich[٥] حيث إن حكومة الاتحاد بها قد نظموا أمورهم لكي يتم اختيار رئيس لاتحاد المدينة المذكورة، فقرروا أنه سيتم انتخاب رجل أمين، عادل، مناسب من مجلس عموم المدينة ليكون رئيسا لاتحاد التجار في نفس البلدة. ويكون له أربعة مساعدين وعليهم أداء القسم

---

(١) جوزيف نسيم، تاريخ العصور الوسطى، ص٢٣٠.

(٢) محمد مرسي الشيخ، النظم والحضارة، ص٩٢.

(٣) جوزيف نسيم، تاريخ العصور الوسطى، ص٢٣٠.

(٤) بيشوب، تاريخ أوروبا، ص٢٢٧.

(٥) إبويش : مدينة وسوق قديمة ، تقع فى بحر الشمال ، وهى مقاطعة فى Suffolk ، شرق إنجلترا. عنها أنظر:

The New Encyclopaedia, Vol. IV, P. 416.

للمحافظة على الاتحاد وكل ما يتعلق به. والتأكد من ألا يخرج أحد من مواطني المدينة المذكورة عن الأعراف التجارية – إذا كان تاجرا – فيما يتعلق بالضرائب ومعاملاته في البلدة، وتم في نفس اليوم انتخاب William Gottschalk[١].

إذا فإن عملية اختيار رئيس للاتحاد أو للنقابة كانت تتم عن طريق الانتخاب، وأن المسئولية لم تكن تقتصر على الرئيس فحسب، وإنما كان هناك عدد من المساعدين له يتم انتخابهم أيضا، وأن هؤلاء المساعدين كان يختلف عددهم من حرفة لأخرى ومن مدينة لأخرى كذلك.

كان يساعد رؤساء النقابات عموما هيئة من المحلفين الذين يعاونونهم في الحكم في القضايا الخلافية. فكانت نقابة الخبازين في باريس، تحتوي على ما يقرب من اثنى عشر محلفا يختارهم رئيس النقابة. وقد كان من بينهم بطرس النورماني Pierre la Normant وقد اشترطت تنظيمات الخبازين أن يتم اختيار المحلفين من بين أحصف الرجال الذين يستطيعون تحديد الخبز الجيد. ولابد أن يقسم المحلفون الذين يتم اختيارهم من الخبازين على الآثار المقدسة بأنهم سيعنون بصالح التجارة وسيكونون أمناء وأنهم لن يحابوا في حكمهم في مجال الخبز الأقارب أو الأصدقاء وأنهم لن يتهموا شخصا يكرهونه ويعادونه ظلما[٢].

كان للنقابات جميعها قاعات خاصة يجتمع فيها الأعضاء لفرض الغرامات ولتسوية الخلافات وللبحث عن البضائع المسروقة[٣]، وكانت مباني النقابات في العصور الوسطى تزين بزخارف بديعة[٤]. يشهد على ذلك ما تركته النقابات فيما بعد من تماثيل وسجلات مكتوبة جعلت المؤرخين يقدرون مدى أهميتها، كالمبنى الذي قام ببنائه مجلس مدينة فلورنسا Florence عام ٧٣٧هـ/١٣٣٦م، فقد استخدمته نقابات المدينة، وكان يضم جزءا خاصا بالمصلى، وآخر لخزن الغلال، وقد نافس هذا المبنى

---

(1) Polity of the Gild at Ipswich. In; Gross, the Gild Merchant, Vol. II, A.D. 1201, PP. 119 – 122.

(2) Singman, Daily life; P. 194.

(3) Rowling, everyday Life; P. 65.

(٤) محمود عمران، حضارة أوروبا، ص١٧٨.

فـي تصـميمه المبـاني الأخـرى، وذلـك علـى يـد كبـار النحـاتين الفلورنسـيين Florentine[1].

دور النقابات في تحديد أنواع المصنوعات التي تتواجد بالأسواق :

كانت النقابات منذ عودة ظهورها في القرن الحادي عشر الميلادي، نتيجة لإحياء التجارة والصناعة، ثم نموها في القرن الثاني عشر الميلادي، وازدهارها واستقرارها وتفرعها في القرن الثالث عشر الميلادي، بدء من نقابات التجار أقدم النقابات ظهورا، ثم نقابات الحرف التي أخذت في التخصص حتى أصبح لكل حرفة داخل المدينة نقابة خاصة بها، تسعى للحصول على أكبر قدر ممكن من السلطة والسيادة لكي تخدم مصالحها التجارية والاقتصادية عموما.

استغلت النقابات المنح والبراءات التي كانت تحصل عليها من الملوك الإنجليز أمثال هنري الأول Henry I[2] والملك حنا John الذي اشتهر بمنح العهود التي تفاوتت في حجم الامتيازات الواردة بها[3]. أما المنح والعهود الأخرى فكانت من الأمراء أو الكونتات أو رؤساء الأساقفة والتي كانوا يمنحونها بموجب السلطة المخولة لهم من الملوك، مثل براءة ثورستان Thurstan رئيس الأساقفة، لبيفري Beverley، بموجب السلطة التي منحها له الملك هنري الأول Henry I[4]. فتمكنت من خلالها من حماية أعضائها من الأخطار العديدة للحياة ومن المنافسة خاصة منافسة الأعضاء الآخرين من خارج النقابة. فقد عملوا كثيرا بلا شك من أجل جذب الرجال إلى الصناعة وإبقاء معايير الجودة، كما لعبوا دورا مهما جدا في تطور الحضارة والصناعة والتجارة[5].

كانت النقابات تسعى منذ تأسيسها إلى شراء الامتيازات من السلطات الحاكمة،

---

(1) Kenigsberger, A History of Europe; P. 222.
(2) Gross, The Gild Merchant, Vol. I, P. 292.
(3) Stubbs, Select Charters of English; P. 303 .
(4) Stubbs, Select Charters of English; PP. 131 – 132.
(5) Painter, History of the Middle Ages; P. 231.

مثلما حدث في مدينة تول Toul[1] منذ تم تنظيم اتحادهم من قبل مأمور أو موظف بنيت على أرضه البلدة، إذ شرع أعضاء الاتحاد داخل البلدة في تنظيم التجارة المحلية وحيث إنهم (أي أعضاء الاتحاد) ازدادت ثرواتهم جميعا فقد سعوا إلى شراء الامتيازات ومواثيق الحرية من السلطة الملكية أو الدينية وفي النهاية أمنوا أنفسهم من كافة القيود الإقطاعية على أنشطتهم الاقتصادية[2].

كانت أولى مهام النقابات تحديد أنواع المصنوعات التي تتواجد داخل الأسواق بهدف تحقيق مصالح الصناع والتجار أنفسهم من جهة ثم حماية المشتري من الغش والتدليس من جهة أخرى، لذا فقد أخذت النقابات على عاتقها – منذ أصبحت تمتلك السلطة – العمل على تنظيم شئون التجارة داخل المدينة ذاتها، فألزمت كل فرد لا ينتمي للنقابة ويريد ممارسة نشاط تجاري داخل المدينة بأن يخضع لتعاليم النقابة وأن يقوم بدفع رسم معين في مقابل السماح له بممارسة عمله. إذ حرصت النقابة على حماية مستوى الإنتاج والتمسك بالأمانة وعدم الغش[3]، وبذلك أخذت المدن تتحرك لتصبح مراكز للصناعة والتجارة إذ دائما ما يكون التصنيع مصحوبا بنشاط تجاري كبير[4]. ولقد خولت السلطات العامة داخل كل مدينة الحق للنقابات في تنظيم أمورها، فأصبح لأعضاء كل حرفة نقابية السلطة الكاملة في وضع كافة التنظيمات التي تخدم مصالحها، وليس من شك في أن تلك التنظيمات الصارمة للصناع قد وضعت أساسا لصالح العمال أنفسهم، وأيضا لحماية المستهلك من الغش والتزييف، فكان يكفي تنظيم الجماعات الصناعية ومراقبة البيع[5]. وكانت النقابات حريصة على جودة المنتج في السوق، وعلى مراقبة الصانع وهو يقوم بصناعته حتى لا يستخدم موادا تالفة، وكثيرا ما كانت النقابة تقوم بدمغ منتجاتها بطابعها أو علامتها التجارية شهادة منها بجودة نوعية هذا

---

(1) تول : تقع بين نهر موزيل Moselle وقناة دي لامارن على نهر الراين de la Marne au Rhin غرب ناني Nancy. عنها انظر:

The New Encyclopaedia; Vol. X, 65.

(2) Cave, Coulson, A Source Book; P. 194.

(3) نعيم فرج، الحضارة الأوروبية، ص١٣١.

(4) محمد مرسي الشيخ، النظم والحضارة الأوروبية، ص٩٣.

(5) بيرين، تاريخ أوروبا، ص١٧٢.

المنتج، الأمر الذي كان موضع فخر واعتزاز لها[١]. بل إن من يقوم باستخدام منتجات غير مختومة بخاتم أحد ممثلي النقابة يتعرض للعقوبة[٢]. حيث قامت نقابة النساجين في مدينة بروج Bruges بطرد عضو من أعضاء النقابة قام بتزوير طابع المدينة على بضاعته الرديئة[٣]. فارتفعت سمعة النقابة العامة لدى النقابات الفرعية بالمدن، فكان السادة أو القضاة المستشارون يعدمون بلا شفقة أي منتج غير مطابق للمواصفات دون استشارة أهل المهنة أو المدينة التي تقوم بالمخالفة[٤].

الأمر الذي يظهر مدى الحرص على تحديد نوعية المصنوعات التي تغمر الأسواق وجودتها والإصرار على معاقبة أي شخص لا يخضع للتعاليم. وبما أن جودة المنتج كانت أحد الاهتمامات الرئيسية للمنظمات النقابية، لذا فإن رئيس النقابة كان يقوم بجولة تفقدية داخل السوق للتأكد من مدى جودة المنتجات، خاصة لو كان المنتج حيويا مثل الخبز وغيره من السلع الضرورية للحياة. ففي فرنسا – وعلى سبيل المثال – ومن وقت لآخر كان ينتظر من رئيس الخبازين أن يستدعي محلفي الحرفة لمرافقته في جولة تفتيشية لمدينة الخبازين. وكان يصطحب معه ما لا يقل عن أربعة منهم وشرطي من القصر، وعند المنافذ التي يباع فيها الخبز يقوم الرئيس بأخذ الخبز وإعطائه للمحلفين ليقوموا بفحصه وينظروا إن كان جيدا أم لا فإن كان جيدا فإنهم يعيدوه ثانية إلى المنفذ، أما إذا لم يكن مطابقا فإن المحلفين يقومون بوضع الخبز في يد الرئيس فإذا قرر بأنه غير مطابق فإنه يقوم بمصادرة جميع ما تبقى منه حتى ما يكون موجودا منه في التنور (الفرن)، أما إذا كانت هناك أنواعا عديدة من الخبز في المنفذ فإن الرئيس يقوم بتقدير كل نوع على حده. والأنواع التي يتبين أنها صغيرة جدا فإنه ومن معه من المحلفين يتبرعون بها للصدقة[٥].

---

(١) محمود عمران، حضارة أوروبا، ص١٧٩.

(2) Halphen, Peuples et Civilisations histoire; P. 553.

(٣) محمود عمران، حضارة أوروبا، ص١٧٩.

(4) Halphen, Peuples et Civilisations histoire; P. 552.

(5) Singman, Dally Life in medieval Europe, PP. 195 – 196.

يتضح لنا مدى الدقة في فحص السلع حتى لا يقع أي ظلم على الصانع أو الحرفي من جهة ، وحتى يحصل المشتري على سلعة تمتاز بجودة عالية من جهة أخرى، خاصة إذا كانت سلعة من السلع الضرورية، لذا فإن تجارة الخبز كانت واحدة من أفضل أنواع التجارة انتظاما في المدينة في العصور الوسطى، لأنها سلعة رئيسية للغذاء. كما كان المفتشون يبحثون عن الخبز المغشوش، لأن بعض الخبازين الذين لا ضمير لهم كانوا يقومون بوضع الرمل في أرغفة الخبز لزيادة الوزن وليباع بأقل تكلفة[1]. ولأن كل نقابة كانت تمتلك حق احتكار حرفتها في المدينة، فإن ذلك الأمر أغرى بعضهم إلى رفع الأسعار وعدم جودة السلع الواردة للسوق، وهنا تظهر فائدة الرقابة على النقابات والإشراف عليها أثناء تأدية عملها، مثلما كان الأمر في انجلترا – التي امتازت بالسلطة الملكية القوية – ولذا فقد راقبت الجودة وحددت المكاييل والمقاييس، وسعرت السلع الضرورية كالخبز والبيرة بدقة. كما قام المفتشون الملكيون أيضا بمراقبة جودة الأقمشة التي تصنعها النقابات الإنجليزية[2].

خضعت النقابات في فرنسا أيضا لرقابة شديدة في المدن حيث كان الحاكم يمتاز بالقوة. فنجد في باريس أن نائب الملك كان يقوم بالتصديق على لوائح معظم النقابات، ويعتبر مسئولا عن تنفيذها. وأشرف موظفون آخرون على النقابات الأخرى، فخضع باعة الكتب مثلا وصناع المداد (الحبر) لسلطة مدير الجامعة، وأشرف الأساقفة على صناع الشمع والملابس الكهنوتية، وتولى ساقي الملك الإشراف على تجارة النبيذ. غير أن الإشراف لم يكن سهلا في المدن التي حازت الاستقلال الذاتي، وقد نزعت النقابات في بعض الأحيان إلى إساءة استخدام الاحتكارات الممنوحة لها من قبل السلطة الحاكمة[3].

لم تكن النقابات وحدها هي المسئولة عن مستوى المنتجات التي يقوم بصناعتها الصناع الحرفيون المتخصصون، وإنما تدخلت السلطات السياسية في ذلك مثل مجالس المدن وغيرها، حيث فرضت رقابة صارمة على المنتجات التي تصدر إلى خارج البلاد فيراعى فيها الجودة والدقة، فقد كانت النقابة وسلطات المدينة يخضعون

---

(1) Singman, Dally life in medieval Europe, P. 196.

(2) Painter, History of the middle Ages; P. 231.

(٣) السيد الباز العريني، الحضارة والنظم الأوروبية، ص٢١٩.

هذه المنتجات لتفتيش دقيق خارج أسوار المدن قبل القيام بالتصدير، وإذا ثبت وجود بضائع غير متقنة أو غير مطابقة للمواصفات، ففي هذه الحالة لا يتم تصديرها، بل يتعرض الصانع لضياع سمعته، ومنعه من عرض متاجره بالأسواق مما يؤثر عليه تأثيرا كبيرا. ولعل ذلك يبرز تعاون سلطات المدن مع النقابات في هذا الشأن، خاصة إذا كانت هذه المنتجات التي تصدر تحتاج إلى عمل عدد كبير من المتخصصين كالمنسوجات وغيرها[١].

وبالرغم من سعي النقابات إلى المحافظة على مستوى العمل الجيد ومكافحة الغش، إلا أنها لم تنجح في ذلك نجاحا كاملا، فكان الناس يشكون في بعض الأحيان من أنه لا يمكن الحصول على صنف جيد وأصلي في الحوانيت[٢]. فقد كان بعض أصحاب الحرف والتجار يقومون بالتلاعب في بضائعهم ومصنوعاتهم فيلجأون إلى ممارسة الغش والخداع فيها، فيخلطون الردئ بالجيد مخادعين بذلك المشتري، أو يقومون بسرقتهم، أو يبيعون السلع القديمة على أنها جديدة وغيرها من دروب الغش والخداع التي يمارسونها[٣].

يتضح لنا مما سبق أن النقابات إن كانت قد وجدت أصلا لحماية التجار والصناع ورعاية مصالحهم بعدد من الأمور كتحديد أنواع المصنوعات التي تغمر الأسواق وغيرها من المهام مما سيعود بالمنفعة على المشترين في السوق وعدم خداعهم، وإن كانت قد نجحت في تحقيق ذلك في بداية ظهورها، إلا أنه بمرور الوقت تعاظمت تلك النقابات، وصار أعضاؤها لا يهتمون سوى بمصلحتهم فقط دون النظر إلى مصالح غيرهم.

كما يتضح لنا حرص النقابات على مراقبة جودة السلع والمنتجات داخل الأسواق حتى وإن أنتجت تلك السلع والمنتجات للسوق المحلي والتجارة المحلية كالخبز والمداد وغيرها من السلع، إذ أن ذلك يؤكد بلا شك على أنها كانت أشد حرصا ودقة في مراقبة

---

(1) Nicholas, The evolution of the medieval world; PP. 305 – 306.

(٢) كولتون، عالم العصور الوسطى، ص١٩٧.

(٣) كولتون، عالم العصور الوسطى، ص١٩٧-١٩٨.

الإنتاج الخاص بالمعارض الدولية كالنبيذ والمنسوجات وغيرها. بل إنه ليس هناك ما يمنع أن تكون هذه السلع قد بيعت في المعارض الدولية إلى جانب تواجدها في الأسواق المحلية.

شروط إتقان الصنعة :

ظلت نقابات التجار تعمل على تنظيم شئون التجارة داخل المدن في العصور الوسطى ففرضت على كل فرد من خارجها يريد مباشرة التجارة أن يدفع رسما معينا مقابل السماح له بمباشرة العمل. كما حرصت على مستوى الإنتاج والتمسك بمبادئ الكنيسة الخاصة بالأمانة. واستمرت نقابات التجار تعمل على تنظيم الحياة التجارية داخل أوروبا ما دامت تلك الحياة بسيطة وخالية من التعقيد، لكن عندما ظهرت النقابات الحرفية والتي تؤكد الفصل بين التجارة والصناعة[١]. نجدها ترفض نظام الاحتكار السياسي الذي تمتع به التجار وطالبت بأن يكون للحرفيين مشاركة في السلطة السياسية وقد عبرت عن ذلك بداية بشكل سلمي، ثم بدأت بتحرك ثوري وبهجمات حربية داخل المدن إلى أن تمكنت في النهاية من الانضمام للمجلس الحاكم[٢].

وكان الغرض الأساسي من قيام النقابات الأخيرة هو رعاية مصالح أعضائها الاقتصادية، لذا فلم تسمح لصانع أن يمارس حرفته في المدينة إلا إذا كان عضوا في نقابتها، وحرصت كذلك على عدم استيراد بضائع تضر بإنتاجها المحلي.

وهكذا أخذت كل نقابة تحتكر سوق مدينتها في دائرة اختصاصها، كما حرصت في الوقت ذاته على عدم قيام منافسة بين أعضائها[٣].

بل أخذت منذ نشأتها في العمل على تنظيم نفسها تنظيما دقيقا يحقق لها مصالحها الاقتصادية بدء من إتقان الصنعة الأمر الذي سيحقق جودة السلع، لذا فقد سعت للعمل على الحد من المنافسة، وضمان جودة السلع من خلال قيامها بوضع شروط صارمة

---

(١) سعيد عاشور، تاريخ أوروبا، ج٢، ص١٠٢.

(2) Painter, History of the Middle Ages; PP. 230 – 231.

(٣) سعيد عاشور، تاريخ أوروبا، ج٢، ص١٠٣.

للدخول في النقابة وقوانين صارمة على الأسعار والمرتبات ومعايير الجودة وإجراءات التشغيل[١]. إذ قامت نقابات أصحاب الحرف على أساس اختيار الأعضاء وانتقائهم، فلم يكن يسمح لأي فرد بعضويتها إلا بعد أن يقدم أدلة كافية على ولائه الديني وإخلاصه السياسي، فضلا عن مهارته الفنية[٢]. فكان الهدف من التنظيمات التي تضعها النقابات بصورة أساسية هو احتكار الصناعة أو التجارة، وحماية أصحابها من المنافسة الخارجية، والحرص على دقة المنتجات الصناعية وإتقانها، والمحافظة على مستوى معين للسلوك والخلق لأصحاب المهنة الواحدة فضلا عن ضرورة التضامن فيما بينهم[٣].

فقد ارتبطت بعض نقابات الحرفيين بمهن متعددة تحت منظمة واحدة بينما كانت هناك حرف أخرى أكثر تخصصا، فعلى سبيل المثال، كان صناع الأقمشة يعملون عادة مقابل عمولة يأخذونها من تجار الصوف. وكان كل متخصص سواء كان قصاصا، أو شدادا، أو نساجا، أو قصارا، أو صباغا، وغيرهم يحاول إبراز مهارته الخاصة في الملابس تحت إشراف تاجر النقابة. وحتى بعد أن فقدت نقابات التجار قوتها السياسية على منظمات الحرفيين فإن مراكز إنتاج الأقمشة المحلية والتي كانت تشرف على الإنتاج ظلت كما هي حيث إنه لا يمكن لعامل أن يقوم بتصنيع نسيج كامل من البداية إلى النهاية[٤].

وليس من شك في أن التخصص الشديد داخل الصناعة الواحدة، والرقابة الدقيقة من مسئول النقابة على الصناع أثناء ممارستهم للصناعة وكذلك مراكز إنتاج الملابس المحلية فيما بعد كلها أمور قد ساعدت على إتقان الصنعة من جهة، وضمان جودتها من جهة أخرى. وعلى النقيض من صناع الأقمشة، فإن صناع الأحذية، الذين كان يصعب عليهم تحقيق ثروة كبيرة ومع ذلك فقد كانوا أكثر استقلالا عن عمال الملابس.

---

(1) Hollister, Medieval Europe A Short History, P. 148.

(٢) سعيد عاشور، تاريخ أوروبا، ج٢، ص١٠٣.

(٣) جوزيف نسيم، تاريخ أوروبا،ص٢٣٠-٢٣١.

(4) Nicholas, The evolution of the medieval world; PP. 303 – 304.

فكانوا يشترون الجلود من الدباغين – الذين كان لهم منظمتهم الخاصة بهم – ليقوموا بصناعة منتجهم ثم يقومون بعد ذلك ببيعه بالتجزئة[١].

عملت النقابات على أن يقوم الصناع بإتقان الصنعة لذا حرصت على أن تكون ساعات العمل خاضعة لرقابة شديدة، خاصة في الصناعات المرهقة والصعبة والتي تحتاج إلى جهد كبير واهتمام شديد في العمل، لذا فإن الفرد الذي يعمل في مثل هذه الصناعات فرضت عليه النقابة ألا يمارس عمله قبل شروق الشمس أو بعد غروبها حرصا منها على إتقان الصنعة ثم جودة المنتج[٢]. لذا فإن رئيس نقابة الحرفة لم يكن ينظم نوع الشغل وساعات العمل فحسب، وإنما كان أيضا يعاقب أعضاء النقابة إذا قدموا عملا غير متقن أو طففوا وزن البضاعة. من ذلك أنهم كانوا يكرهون صانعي الأحذية – إذا لم يتقنوا صناعتها – على أن يعلقوها حول رقابهم أمام الناس في الأماكن العامة[٣].

وقد فرض هذا النظام على الصانع أن يقوم بإظهار منتجاته وفق المواصفات المحددة مما يحقق فائدة للمستهلك. لذلك لم يتمكن الصانع الذي لا يتقن إنتاجه من أن يحصل على عائد مادي، وصار الإهمال في الصناعة والتلاعب فيها خطرا يماثل خطر الغش في الطعام. حتى تقررت عقوبات شديدة على ذلك. ولم يكن الصانع عرضه فقط لرقابة دائمة من الملاحظين البلديين الذين كان لهم الحق في مداهمة مصنعه ليلا أو نهارا، ولكنه عرضه أيضا لرقابة العامة، الذين كانت عيونهم تراقب عمله من خلف نوافذ مصنعه[٤]. وفي باريس حيث حرصت النقابات على إتقان الصنعة لذا نجدها تقرر ألا تصنع البراميل الخشبية إلا من أنواع خاصة من الخشب الذي تم تحديده في دواي Douai، كما أن الدوائر أيضا لا يمكن أن تصنع إلا من الخشب الأبيض. ونظرا لحاجة المعارض للمنتجات، إلى جانب خوف النقابات من

---

(1) Nicholas, The evolution of the medieval world; P. 304.

(٢) السيد الباز العريني، الحضارة والنظم، ص٢١٧.

(٣) شيني، تاريخ العالم الغربي، ص١٥٢.

(٤) بيرين، تاريخ أوروبا،ص١٧٤-١٧٥.

الخسائر والمنافسة، لذا فقد فرضت على كل صانع أو صاحب مهنة تخصص دقيق فصانع الأحذية يجب أن يختار بين جلد الحمل أو جلد البقر أو الماعز، كذلك الصائغ لا يستطيع صنع الحلي إلا من الذهب أو الفضة الثقيلة، وصانع النسيج لا يصنع إلا عدد قليل من القطع المحددة، فقد حددت أدق تفاصيل الصناعة للجميع مسبقا[١]، حرصا على إتقان الصنعة وجودتها، ففي دواي Douai تم عام ٦٦٣هـ/١٢٦٤م تسوية وتحديد حجم الأحجار المستخدمة في بناء المنازل[٢]. وكان المتخصصون في الحرفة الواحدة يتجمعون في نفس الشارع، ويقومون بفتح محلاتهم الحرفية الصغيرة بشكل جماعي للعمل في وضح النهار، حيث إنهم لا يستطيعون العمل على ضوء الشموع بسبب المشقة والعناء والضرر الذي قد يصيب عيون الجميع من جراء استخدام الوسائل البدائية[٣]. وكانت كل مهنة تضم في هيئتها كل من أتقن ومهر في صنعة أو صناعة خاصة بالشكل الذي جعل الإنتاج متنوعا بصورة كبيرة، وقد استلزمت صناعة الأقمشة حوالي ثلاثة أسابيع من الوقت لتصنيعه، وشهرا لتصنيع وإعداد الجلد والفراء[٤]. فهذا التفاوت الذي تستغرقه كل صناعة يظهر لنا حرص كل نقابة على ضرورة إتقان الصانع لحرفته. على أن وجود النقابات قد أدى إلى ظهور عادات اجتماعية والتزامات أدبية خاصة، من ذلك أن المتقنين لإحدى الصناعات كانوا لا يبوحون بأسرارها وذلك مثل صناع الزجاج في البندقية[٥].

إذا فإن إتقان الصنعة وحذق الصناع فيها أصبح سرا من أسرار ممتهنيها لا يبوحون به لغيرهم من خارج مهنتهم وإنما يتناقلون أسرار صناعتها وفنونها فيما بينهم متوارثين إياه.

كان على بطرس النورماني Pierre la Normant أن يدفع للملك حتى يحصل على حق مزاولة مهنة خباز في باريس. إذ عندما يصرح له بالعمل كخباز كان لابد أن يدفع للملك عشرة دنيير deniers في عيد الميلاد واثنين وعشرين دنيير Deniers في

---

(1) Halphen, Peuples et civilisations Histoire, PP. 552 – 553.

(2) Halphen, Peuples et civilisations Histoire, P. 553.

(3) Duby, Mandrou, histoire, de la civilisation, P. 183.

(4) Gaurvard, la France au Moyen Age, P. 263.

(٥) نقولا زيادة، عالم العصور الوسطى، ص١٩٤.

عيد الفصح وخمسة دنيير ونصف في عيد القديس حنا St.John وستة سو Sous في عيد القديس مارتن. وتعتبر السنوات الأربع الأولى فترة اختبار وهي التي يدفع فيها الضرائب المرتفعة في عيد الميلاد[١]. إذا فإن التخصص في مثل هذه المهنة التي تتعلق بالقوت اليومي للناس كانت خاضعة لفترة اختبار طويلة قبل أن يجاز له ممارستها بشكل احترافي مما يدل على أن إتقان الصنعة كان محل الاهتمام الرئيسي للسلطة الحاكمة والنقابات كذلك.

وحرصا من النقابات على إتقان الصنعة نجدها تصدر قرارها بمنع العمل ليلا خاصة في الحرف الصعبة مثل صناعة السكاكين والأقفال وتنص اللائحة الداخلية لصانعي القلادات بوضوح على أن ضوء الشمع ضعيف جدا لممارسة صنعتهم[٢].

وبرغم حرص النقابات على إتقان الصنعة بقيامها بوضع شروط كثيرة تضمن جودة المنتج، إلا أن البعض لم يخضع لذلك وإنما قاموا بالغش أو الاستعجال في إتمام العمل دون الاهتمام بإتقانه الأمر الذي ترتب عليه الإضرار بمصلحة المستهلك أو القضاء على حياته[٣].

التدرج الوظيفي لأعضاء نقابات الحرف :

سارت نقابات الحرف وفق نظام دقيق فكانت كل نقابة تضم عددا من الفئات وهم الصبية والعمال والأسطوات أو المعلمين الذين شكلوا سلما متدرجا أعلاه المعلم وأدناه الصبي. وكان الصبي يدفع رسما معينا من أجل أن يقبل في الحرفة، وأن يتعهد بطاعة معلمه وتنفيذ كافة تعاليمه وأن يحرص على مصالح معلمه وأن يراعي أمواله ويحافظ على أسراره كذلك، وفي مقابل ذلك يتعهده الأسطى أو المعلم بالرعاية والحماية وتوفير المسكن والملبس والمأكل له[٤]. إذ كانت النقابة حريصة على حماية الصبي، لذا فقد طلبت من معلمه أن يحسن معاملته وأن يمده بكل ما يحتاج إليه، فإذا اشتكى

---

(1) Singman, Dally Life in medieval Europe, P. 195.

(2) Singman, Dally life; P. 197.

(٣) كولتون، عالم العصور الوسطى، ص١٩٨.

(٤) سعيد عاشور، تاريخ أوروبا، ج٢، ص١٠٣.

الصبي للنقابة من سوء معاملة معلمه له، سواء قام بالشكوى بنفسه أو فوض أحد زملاءه في القيام بذلك، فإن النقابة تأتي بالمعلم لتحذره وتمهله مدة أسبوعين كي يحسن معاملة الصبي وأن يعامله كابن من أبنائه، وإلا فإنها سوف تسحب منه الصبي لتلحقه بسيد جديد يحسن معاملته[١]. ولم يكن مسموحا للصبي أن يبيت خارج منزل معلمه الذي له الحق في الإشراف ليس فقط على تعليمه المهني وإنما أيضا على سلوكه وأخلاقه. وبعد أن يقضي الصبي في الحرفة مدة تتراوح بين عامين وسبعة أعوام يصبح عاملا، فيستطيع أن يعمل مقابل أجر يومي بسيط[٢].

على أن مدة بقاء الصبي في التدريب كانت تتفاوت بالنسبة لمدى صعوبة الحرفة أو بساطتها، فكان أقلها عامين بالنسبة لحرفة كحرفة النجارين إلى ثمانية أعوام أو ما يزيد عن ذلك فيما يتعلق بحرفة صائغ الجواهر حيث تحتاج هذه الحرفة لمهارة عالية[٣]. وقد تصل مدة بقاء الصبي إلى إحدى عشر سنة من التدريب قبل أن يصبح عاملا[٤].

أما العامل أو الصانع فكان لكي يدخل مرحلة جديدة عليه بداية أن يتقدم بين يدي الأسطى، إذ كان لابد له أن يقضي عددا معينا من السنين يعمل فيها كصانع ماهر لأسطى قبل أن يتمكن من أن يصبح أسطى أو سيدا[٥]. إذ كان لابد له لكي يكون جديرا بذلك وأن يكون عضو نقابة أن يقوم بعد إنهاء مدة تدريبه بصناعة قطعة فنية نادرة تثبت مدى مهارته الفنية حيث يتم تقييمها قبل أن يجاز له الحصول على لقب أسطى، فإذا أجيز له ذلك فإنه يستطيع أن يفتح حانوته الخاص وأن يكون لديه صناعه التابعون له[٦]. ذلك إذا توافر لديه رأس المال اللازم لذلك. على أن الرغبة في الاحتكار والاستئثار بأرباح المهنة، جعلت أعضاء النقابة الواحدة يحرصون على عدم إشراك

---

(1) Singman, Dally Life; P. 196.

(٢) سعيد عاشور، تاريخ أوروبا، ج٢، ص١٠٣.

(3) Nicholas, the evoluation of the medieval world; P. 305.

(٤) جوزيف نسيم، تاريخ العصور الوسطى، ص٢٣٠.

(5) Painter, History of the Middle Ages; P. 230.

(6) Painter, History of the Middle Ages; P. 230.

منافس جديد معهم، حتى أتى وقت أصبح من الصعب على العامل أن يصبح أسطى، إلا إذا كان ابنا لأسطى أو زوجا لابنته[١]. إذ في الأيام الأولى لنقابات الحرف كان كل صانع شبه متأكد تقريبا من أنه سوف يصبح أسطى، حيث إنه كان يوجد في كل حانوت صغير ولدى كل أسطى عددا من الصناع تحت التمرين، لكن كلما مر الوقت مال السادة لاستغلال موقفهم لأن الحوانيت الصغيرة والكبيرة كانت تدر أرباحا كثيرة للسادة، وكان هؤلاء السادة هم من تولوا إدارة النقابة[٢]. لذا فقد أخذوا يصعبون أمر الانضمام إلى صفوفهم أكثر فأكثر. حتى أنه وبنهاية القرن الرابع عشر الميلادي، لم يكن أمام أحد أمل في الوصول إلى رتبة الأسطى إلا أبناء الأسطوات أو أزواج بناتهم، فقد أمضى العديد من الرجال حياتهم كصناع مهرة[٣].

بينما كان السيد عضو له جميع الصلاحيات في النقابة. وكان مخولا له امتلاك متجر وفتحه لتوظيف العمال الحرفيين ولتدريب الصبية. وفي البداية كان السيد الجديد يقوم بتقديم أحسن منتجاته للسادة الآخرين في النقابة، مثل قطعة منسوجة من القماش مطابقة للمواصفات الفنية التي تنص عليها نقابة النساجين. وبحلول القرن الرابع عشر، لم يعد تقديم التحفة الفنية أمرا مطلوبا أو كافيا بالنسبة للعديد من الصناعات أو أنه يستخدم كمبرر لإقصاء غير المرغوب فيهم ونفس الشئ كان يستخدم في القرن الثالث عشر وأصبحت معظم منظمات الحرفيين تعطي الأولوية في العضوية لأبناء السادة الذين كانوا موجودين بالفعل في النقابة، إما عن طريق تأخير تقديم التحفة الفنية لهم أو عن طريق تقليل رسم الدخول المفروض على السادة الجدد. وأصبحت مشكلة توارث السادة أكثر خطورة بعد عام ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، وخاصة بعد القرن الخامس عشر[٤].

التنظيم النقابي للعمل :

مارست النقابات سلطتها كاملة في تحديد جدول عمل التجار، فقد منعت تنظيمات

---

(١) سعيد عاشور، تاريخ أوروبا، ج٢، ص١٠٣.

(2) Painter, History of the Middle Ages, P. 230.

(3) Painter, History of the Middle Ages; P. 230.

(4) Nicholas, The evolution of the medieval world; PP. 305 – 306.

الخبازين الخباز بطرس النورماني Pierre le Normant – على سبيل المثال – من العمل في يوم الأحد أو في الأعياد المقدسة، بما فيها اليوم الذي يلي يوم الفصح واليومين اللذين يليان يوم عيد الميلاد. ومنع من الخبز أيضا في أيام السبت وكذلك عشية الأيام المقدسة إلا إذا كان الخبز في التنور (الفرن) بالفعل في الوقت الذي تضاء فيه الشموع في المساء. وكانت الليلة المستثناه من ذلك هي ليلة عيد الميلاد حيث يمكن للخباز أن يعمل فيها إلى وقت متأخر من الليل حيث تدق أجراس الكنيسة لصلاة الصباح في كنيسة نوتردام Notre – Dame . وسمح له بزيادة الإمداد من الخبز ليكفي الأجازة القادمة والتي تمتد لثلاثة أيام. وفي يوم الإثنين سمح له بمزاولة عملية الخبز مرة ثانية بمجرد أن تدق صلاة الصباح. وفي الحرف الأخرى فإن العمل يوم السبت ربما ينتهي في ساعة مبكرة من المساء (تقريبا في الساعة الثالثة بعد الظهر) وربما يمتنع العمل في جميع الأيام بعد حلول الظلام أو قبل الفجر. وحيث إن عمل الخبز يبدأ طبيعيا قبل الفجر، بفترة زمنية طويلة، حتى يكون الخبز جاهزا للمشترين في الصباح لذا فقد صرح له بالعمل ليلا ما عدا أيام العطلات[١].

يتضح لنا ما سبق أن النقابات كانت حريصة على منع العمل أيام الأعياد المقدسة، ويوم الأحد امتثالا لأوامر الكنيسة حتى يتاح للناس حضور القداس والاستماع له، إلى جانب الاستمتاع بالطقوس الروحية وسماع المواعظ، إلا أن البعض كان يخالف تلك الأوامر الكنيسة بعدم حضوره فريضة الاستماع إلى القداس[٢].

كما منعت العمل في الأوقات التي لا يتم إجادة العمل فيها كالعمل بعد حلول الظلام نظرا لأن الإضاءة الخافتة لا تمكنهم من إتقان وجودة سلعتهم. بينما كان هناك قرارات صدرت من قبل السلطة ضد مصلحة العمال أو الصناع وشكلت ظلما لهم، مثلما حدث في فرنسا في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي حيث أصدر الملك قرارا بعدم السماح بفترة محددة لتناول وجبة الغداء، بل إذا رغب العمال في تناول الشراب فكانت

---

(1) Singman, Daily life, PP. 196 – 197.

(2) Jarrett, Bede, O.P., Social Theories of the Middle Ages, P. 164.

زوجاتهم تحضره لهم إلى مقر عملهم وذلك حتى لا يتم تعطيل العمل، وكانت هناك بعض فترات لراحة العمال وذلك في عشية يوم السبت ويوم الأحد المقدس التي يعطل فيها العمل[١]. وكانت التنظيمات النقابية تحدد ساعات العمل التي تؤدي جزئيا لمنع أصحاب العمل (السادة) من تكليف من يعمل معهم من العمال ما لا يطيقون. وقد نصت العديد من القوانين على حق العمال المهرة (كبار العمال) في الحصول على الراحة. فيسمح صناع الأسلاك المعدنية لكبار العمال بأخذ أجازة من العمل وذلك طوال شهر أغسطس[٢]. كما عملت على منع العمل ليلا مما يساعد على ضمان جودة المنتج. على أن الذين منعوا من العمل ليلا هم أصحاب الحرف الصعبة أمثال صانعي السكاكين وغيرهم. لذا فقد ألزمت الحدادين الذين لا يحسنون الطرق أن يعملوا في وضح النهار وأبوابهم مفتوحة أيضا، لأن العمل الذي يتم في الليل أو في السر ربما تبدو فيه عيوب غير ظاهرة. وقد صرح لعدد قليل من الحرف بأن تزاول أعمالها ليلا وذلك إما لأن أعمالهم مهمة للغاية ولا يمكن تقييدها بوقت مثل صانعي الدروع وإما لبساطتها مثل الذين يصبون التروس والأسلحة الصغيرة الأخرى في النحاس وسبائكه[٣].

يتضح لنا مما سبق أن النقابة كانت حريصة على تنظيم العمل وتحديد ساعاته والأوقات الملائمة له رغبة منها في الحفاظ على جودة المنتج وسلامته محافظة على دورها الرقابي للعمل وسيره.

تحديد طرق البيع وأنواع المكاييل والمقاييس والموازين :

كان هدف النقابات منذ نشأتها رعاية المصالح الاقتصادية لأعضائها من التجار والصناع على حد سواء، لذا فقد سعت إلى استغلال الامتيازات التي منحت إليها من السلطة المالكة، تلك السلطة التي خولت لهم الحق في وجود شرعي، حيث إنها كانت صاحبة العهود أو البراءات التي أعطتهم حق إقامة النقابات أو الاتحادات التي تضم

---

(1) Rowling, Everyday life in Medieval Times, P. 66.
(2) Singman, Dally life; P. 197.
(3) Singman, Dally life, P. 197.

التجار أو أصحاب الحرفة الواحدة تحت لواء راية مشتركة ومسئولة مسئولية كاملة عن رعاية مصالح أفرادها وحمايتهم وحفظ حقوقهم كاملة، من ذلك قيام الملك حنا John وغيره من الملوك والسادة بمنح البراءات للمدن، مشتملة على حقهم في إقامة الاتحادات مع التمتع بكافة الامتيازات والحريات الواردة في البراءة دون أدنى عائق[١].

ولم تكن تلك العهود أو البراءات تمنح التجار والصناع الحق في تكوين الاتحادات أو النقابات فحسب، دون تفصيل أدائها، بل بالعكس من ذلك تماما، إذ أن السلطة منحتهم حق سن القوانين التي تسهل تسيير العملية الاقتصادية، وحق تنفيذ كافة قوانينهم من أجل تحسين المدينة كذلك[٢].

ولكي يكون البناء النقابي متكاملا وله فاعلية كان لابد من أن يكون هناك رؤساء لتلك النقابات مسئولون عن سن القوانين ومراقبة أعضائها ومتابعة سير العملية التجارية داخل السوق حتى تحفظ حق كل من البائع والمشتري فلا يجور أحدهما على حقوق الآخر، لذا فقد جرت العادة بالفعل داخل النقابات على أن تقوم بانتخاب رئيس لها من داخل مجلس عموم المدينة، على أنه لم يكن منفردا بقيادته للنقابة، بل كانت هناك هيئة تعاونه مع قسمهم جميعا على الحفاظ على الاتحاد وكل ما يتعلق به من أمور[٣].

عملت النقابات على تحديد المكاييل والمقاييس والموازين داخل السوق في دائرة اختصاصها حتى تحفظ حق كل من البائع والمشتري. فقد حذر الرؤساء النقابيون من الغش والاحتيال، وحافظوا على مراقبة سن القوانين، حيث إن مهمة سن القوانين هذه كانت تتطلب تدريبا وتمرينا طويلا وقاسيا، إلا أنها ضمنت لأعضاء النقابة حق الامتياز التجاري لصناعتهم، حيث تم تحديد عدد أرباب العمل لكل حرفة داخل النقابة

---

(1) Stubbs, Select Charters of English; P. 308.
(2) Stubbs, Select Charters of English; PP. 131 – 132.
(3) Gross, the Gild Merchant, Vol.II, PP. 119 – 122.

بواسطة النقابة نفسها[١]. وإذا كان هذا الأمر قد كفل الحماية للتجار والصناع من كثرة عددية بلا قيمة، إلا أنه كان له عيوبه في نفس الوقت إذ لم يعد هناك منافسة، وأصبحت الأسعار مجمدة في قيم مرتفعة[٢].

كانت النقابات مسيطرة على السوق داخل مدينتها فقامت بوزن وعد واختبار جميع ما يباع ويشترى من الحاصلات المتصلة بحرفتها وبصورة خاصة في الدائرة التي تعمل فيها، كما بذلت كل ما في وسعها من أجل منع دخول البضائع المغشوشة أو الرديئة إلى السوق[٣]. فكان لها دور كبير في تحديد متوسط الأسعار بالشكل الذي يكفل حقوق كل من البائع والمشتري، إلى جانب تحديد المقاييس والمكاييل والموازين المستعملة داخل السوق، مثلما حرصت على حفظ حقوق أعضائها، بتحريمها على الأسطوات طرد العمال بدون مبرر[٤].

قامت النقابات بتنظيم الأسعار والإشراف على العمل والقيام بالوزن والقياس للتأكد من المعايير الضرورية لأن الهدف من قيامها هو حماية أعضائها. فإذا تم التأكد من امتناع أحد الأعضاء عن تنفيذ هذه النظم فإنه يتم تغريمه فيدفع غرامة عن ذلك حيث كان للعديد من النقابات القاعة النقابية الخاصة بها والتي يجتمع فيها أعضاء النقابة من أجل تحديد الغرامات ولتسوية الخلافات أو للبحث عن البضائع المسروقة[٥]. فعندما سمحت السلطة للتجار والصناع داخل المدن بتكوين نقابات لهم كان الهدف من وراء ذلك هو تحقيق الاستقرار داخل المدن وتيسير العملية الاقتصادية بها، لذا فقد سمحت لهم بتنفيذ كافة النظم التي سنوها من أجل تحسين أحوال المدينة[٦]. فقد أسهمت هذه النقابات في العمل على ألا يخرج أحد من المواطنين عن الأعراف الخاصة بالمدينة

---

(1) Duruy, Histoire de Moyen Age; P. 354.

(2) Duruy, Histoire de Moyen Age; P. 354.

(٣) محمود عمران، حضارة أوروبا، ص١٧٧.

(٤) محمد مرسي الشيخ، النظم والحضارة، ص٩٤.

(5) Rowling, Everyday life; P. 65.

(6) Stubbs, Select Charters of English; PP. 131 – 132.

في أي أمر يتعلق أو يختص بالتجارة أو بأي عمل له داخل السوق[١]. وبما أن الأوزان والمكاييل وغيرها كان يتم تحديدها من جانب النقابات لذا فقد حددت مجموعة من الأوزان القياسية المعتمدة التي يجب أن يحتفظ بها البائع لكي لا يتعداها وإلا تعرض لمصادرة بضاعته[٢]، وهو ما طبق في الأسواق والمعارض على حد سواء.

مما يعني أن مهمة النقابات لم تقف عند حد تحديد المكاييل والمقاييس والأوزان الخاصة بالسوق أو المعرض في دائرة اختصاصها فحسب، وإنما امتدت إلى مراقبة عمليات البيع والشراء داخلها للتأكد من عدم وجود أي اختراق من الباعة لمجموعة الأوزان والمقاييس المعتمدة.

كما قامت النقابات بتحديد طرق البيع حتى تضمن بذلك حقوق كل من البائع والمشتري. فعملت على تنظيم ووضع شروط للمنافسة، فلم يكن يسمح لصانعي سيور الحقائب الجلدية بأن يتركوا متاجرهم ليعرضوا بضائعهم للعميل في المتجر المجاور لهم. مما يعني أن كل بائع كان له الحق في ممارسة عمله في متجره فقط دون أن يقوم بأي إيذاء للبائع المجاور له سواء كان ذلك عن طريق أخذ المشتري منه بالنداء عليه، أو بأن يعيب سلعة للمشتري[٣]. فقد كان الباعة يمتلكون المتاجر التي يمارسون فيها عملهم داخل المعارض[٤]، فيتمكنوا من خلالها من عرض بضائعهم وممارسة عملية البيع بحرية كاملة، على أن عملية البيع كانت تتم في ساعات محددة وهي الساعات التي يتم فيها فتح الأسواق[٥]، ولم يكن يسمح بممارسة عمليات البيع والشراء إلا خلال تلك المواعيد المحددة، إذ لا يستطيع أي تاجر أن يخالف ذلك الأمر. كما أن عمليات البيع يجب أن تتم داخل السوق طالما أنه في حالة انعقاد وأن من يخالف ذلك يقوم بدفع

---

(1) Gross, The Gild Merchant, Vol.II, PP. 119 – 122.

(2) Singman, Dally Life; P. 196.

(3) Singman, Dally Life; P. 196.

(٤) السيد الباز العريني، الحضارة والنظم، ص١٢٤.

(٥) عزيز سوريال عطية، العلاقات بين الشرق والغرب،ص١٦٦.

غرامة[١]. كما لا يحق لأي إنسان أن يمسك أو يعيق أي إنسان آخر ولا أن يعقد معه صفقة تجارية إذا كان هذا الإنسان داخل الفراغ الموجود خارج المدينة بثلاثة أميال من جميع الجهات، ورغب في أن يأتي إلى المدينة وينعم فيها بالأمن، لكن عند وصوله إليها فإن السوق هو مكان التقاء الغني والفقير على حد سواء[٢]، وفيه تتم عملية البيع. ولتنظيم طرقه يتم تحديد كل يوم من أيام السوق للمتاجرة في نوع من السلع التجارية[٣]، وبهذا يتضح أنه كان هناك عدد محدد من الأيام تخصص للعرض والبيع داخل السوق[٤]، ولم يكن يسمح لأحد بأن يتجاوزها. فقد أصدرت النقابات أوامرها بعدم البيع في الأعياد المقدسة كعيد الفصح ويوم عيد الميلاد، وأيام الأحد[٥]، امتثالا لأوامر الكنيسة وتعاليمها[٦].

إذا فقد وضعت كل النقابات قوانينها الخاصة بها والتي تنظم عملية البيع وطرقه وكانت تلك القوانين تشتمل على تحديد العلاقات وطرق التعامل بين التجار الأجانب والتجار المحليين، إلى جانب تحديد طرق التعامل بتجارة التجزئة والجملة وحدودها المسموح بها داخل المدينة[٧].

الأمر الذي يضع العملية التجارية في نطاق واضح من جهة، كما سيعود بالنفع على المشترين من جهة أخرى، حتى وإن كانت هذه القوانين قد وضعت أساسا لحماية تجارها المحليين. فنجدها تفرض على التاجر الأجنبي ألا يشتري من تاجر أجنبي آخر داخل المدينة، وإنما صرح وسمح له بأن يشتري من المواطن[٨]. وبهذا قامت بحماية حق المواطن المحلي في ممارسة العملية التجارية وعدم تعرضه للمنافسة الأجنبية التي قد

---

(1) Migne, Patrologiae Cursus Completus, Vol. CCXV, P. 510.

(2) Thorpe, Ancient Laws and instituted of England, P. 469.

(٣) السيد الباز العريني، الحضارة والنظم، ص١٢٤-١٢٥.

(٤) عزيز سوريال عطية، العلاقات بين الشرق والغرب، ص١٦٦.

(5) Singman, Dally Life P. 196.

(6) Jattett, Bede, O.P. Social Thories of the middle Ages; P. 164.

(7) Cave, Coulson, A Source Book; P. 207.

(8) Gross, The Gild Merchant, Vol. II, P. 59.

تؤثر على تجارته. فإذا كانت النقابات قد سمحت للتاجر الأجنبي بدخول مدينتها وأن يبيع في سوقها إلا أنها قيدته في عملية البيع بألا يبيع بالتجزئة. ففرضت عليه إذا أحضر أقمشة مصبوغة أن يبيعها جملة واحدة، وأجبرته إذا أحضر فلفل أو كمون أو زنجبيل أو حجر الشب أو صمغ الرتينج[١] أو البخور، ألا يبيع أقل من خمسة عشر رطلا في المرة الواحدة. كما منعته من تقطيع الأقمشة الحريرية أو الصوفية أو المنسوجات الكتانية وإنما عليه أن يبيعها جملة واحدة ككل، وفرضت عليه كذلك إذا أحضر شمعا ألا يبيع منه أقل من الربع[٢].

إذا فإن قيام النقابات بتحديد طرق البيع فيما يخص كل سلعة يحملها التاجر الأجنبي معه إلى داخل سوق مدينتها توضح كيف قيدته النقابة بألا يبيع سوى جملة كان في صالح التاجر المحلي.

على أنه ليس من شك في أن كل ما قامت به النقابات من قبل، وكل ما وضعته من قوانين تحدد طرق البيع وأنواع المكاييل والمقاييس والموازين داخل الأسواق كان لصالح كل من البائع والمشتري، ولحفظ حقوق كل منهما، فرقابتها على الأسواق كانت صارمة، ولم تكن لتسمح باختراق قوانينها ونظمها التي وضعتها لحفظ الأمن والسلام داخل السوق، وأن كل من كان يجرؤ على تعكير صفو ذلك السلام والأمن كان يتعرض للعقوبة من قبل أمن النقابات أو من قبل السلطة الحاكمة.

تحديد تكاليف الإنتاج وأسعار البيع :

كان البناء النقابي بناء متكاملا يهدف إلى فرض سيطرته على الحياة الاقتصادية، بغرض حماية أعضائه من أي اعتداء قد يتعرضوا له. ولكي تقوم النقابات بالدور الذي قامت من أجله ألا وهو حماية التجار ورعاية مصالحهم داخل الأسواق كان لابد أن تتمتع بالشرعية. لذا فقد خولت السلطة الحاكمة لهم الحق في القيام، بل وإعطاءها

---

(١) صمغ الرتينج : الصمغ نوع من العصارة تخرج من بعض النباتات عند إحداث شقوق في لحائها، أو إذا انشق لحاؤها طبيعيا ويتجمد عند تعرضه للهواء، تكثر أشجاره في اليونان وتركيا. عنه انظر: نعيم زكي، طرق التجارة، ص٢٣٤.

(2) Thorpe, Ancient Laws and Instituted of England, P. 462.

مطلق الحرية في التمتع بالحريات والامتيازات[١]. إلى جانب حق سن القوانين والعمل على تنفيذها لصالح المدينة، فكانت كل نقابة تقوم بسن قوانينها على نفس نسق قوانين النقابات التي سبقتها، مثلما حدث في مدينة بيفرلي Beverley، التي اتخذت نفس قوانين وحريات نقابة يورك York[٢]. إذا فإن البناء النقابي كان متشابها في كل مدن أوروبا العصور الوسطى، لذا ليس بغريب أن نرى النقابات تسير على نظم واحدة، وتعمل من أجل تحقيق نفس الأهداف حتى تحمي أعضائها وترعى مصالحهم داخل الأسواق. ولكي تكتمل سيطرتها على الحياة الاقتصادية ولرعاية حقوق أفرادها كان لابد لها من القيام بتحديد تكاليف الإنتاج وأسعار البيع، بالشكل الذي يضمن سير العملية التجارية داخل الأسواق بشكل عادل. فقد سعت إلى تنظيم الإنتاج وتحديد التكاليف الخاصة به حتى لا يقوم أحد التجار أو الصناع بالإضرار بمصالح زملائه. لذا كانت النقابة تعارض مسألة المناقشة بين الرؤساء في زيادة مقدار الإنتاج أو خفض ثمنه، خوفا من أن يتمكن أعظم الرؤساء حنكة ومهارة أو أكثرهم إقناعا إلى إنماء ثرواتهم على حساب غيرهم من الرؤساء، إلا أنها كانت في نفس الوقت تشجع المنافسة التي تحتدم بين الرؤساء أو بين المدن لتحسين جميع أنواع المنتجات[٣]. إذ اختلفت الحرف بشكل ملحوظ من مكان لآخر في حجم استقلالها الذاتي ونفوذها السياسي الذي تمتعت به، غير أن تنظيمها الاقتصادي كان متشابها داخل أوروبا كلها. فلم يكن هدفها الأساسي حماية الصانع من المنافسة الخارجية فقط، وإنما أيضا من منافسة زملائه لذا فقد أصبح سوق المدينة مقصورا عليه، وأغلقته أمام الإنتاج الأجنبي[٤]، بما فرضته من قيود على تجارة التاجر الأجنبي داخل مدينتها[٥].

إذا فإن الاحتكار الذي تمتعت به النقابات، جعلها تتحكم في الإنتاج بالصورة التي

---

(1) Stubbs, Select Charters of English; P. 308.

(2) Stubbs, Select Charters of English; PP. 131 – 132.

(٣) محمود عمران، حضارة أوروبا، ص١٧٩-١٨٠.

(٤) بيرين، تاريخ أوروبا، ص١٧٤.

(5) See: Gross, The Gild Merchant, Vol. II, P. 59.

See Also: Thorpe, Ancient Laws and Institutes of England, P. 462.

ترتضيها وتمكنها من فرض سيطرتها على الجميع حتى لا يزيد أحد من ثروته على حساب الآخرين، إذ أن عملية قيامها بتحديد تكاليف الإنتاج سوف تجعلها تتمكن بالتالي من تحديد متوسط أسعار البيع، إذ أن العملية الثانية مترتبة ومرتبطة بالعملية الأولى. لذا فقد فرضت النقابات سيطرتها على الأنشطة الاقتصادية لأعضائها بشكل صارم أيضا. وتمسكت بتحديد الأسعار ووصف الجودة وتحديد طرق الصناعة كذلك. وكان الغرض من ذلك هو منع المنافسة إذ لم يكن يسمح لعضو بأن يخفض سعر سلعته حتى يتمكن من بيعها أسرع من الآخر[١]، بل لابد أن يصنعها بنفس الطريقة والدقة وأن يبيعها بنفس السعر[٢]. على أن الاحتكار أو الامتياز الذي تمتعت به النقابات فيما يخص بعض الأنشطة لم يكن مطلقا. إذ أن هذه النقابات أو الجماعات الحرفية كان يشرف عليها وعلى قوانينها وطرق تطبيقها سلطة المدينة، وذلك حتى تتجنب المنافسة التجارية وتحافظ على الأمن، وتحمي وتضمن حقوق المستهلكين بتحديد الأسعار ومراقبة الجودة[٣]. من ذلك قيام الأساقفة والمستشارين القانونيين بمدينة لندن بوضع القوانين التي تخص المدينة، بما فيها قوانين النقابات، إضافة إلى الإشراف عليها ومراقبة سير عملها[٤].

على أن قيام النقابات بتحديد تكاليف الإنتاج وأسعار البيع، عاد بالمصلحة والنفع على كل من البائع والمشتري، فالأول كان يبيع السلع بسعر موازي لنفقات إنتاجه مع تحقيق ربح عادل، والثاني تحقق من وصول السلع إليه بسعر عادل وجودة في نفس الوقت.

ورغم أن النقابات سعت إلى المساواة بين الجميع حتى لا تتضخم ثروات بعضهم على حساب الآخرين إلا أنه في القرن الثالث عشر الميلادي، نجد مجموعة من كبار

([1]) Painter, History of the Middle Ages; PP. 229 – 230.

بيرين، تاريخ أوروبا، ص ص١٧٤-١٧٥، السيد الباز العريني، الحضارة والنظم الأوروبية، ص٢١٧، شيني، تاريخ العالم الغربي، ص١٥٢، نعيم فرج، الحضارة الأوروبية، ص١٣٣، محمد مرسي الشيخ، النظم والحضارة الأوروبية، ص٩٤.

- Rowling, Everyday life; P. 65.

([٢]) السيد الباز العريني، الحضارة والنظم، ص٢١٧، بيرين، تاريخ أوروبا، ص١٧٤.

([3]) Duby, Mandrou, Histoire de la Civilisation, PP. 182 – 183.

([4]) Stubbs, Select Charters of English; PP. 76 – 77.

التجار الذين كونوا الوكالات في مدن الشمال، وأصبحوا يمتلكون السيطرة على السلطتين الاقتصادية والسياسية داخل المدن، قد اتجهوا إلى الأعمال المتعلقة بإنتاج وبيع البضائع وممارسة الأنشطة المالية، مما أدى إلى ازدياد الفرق بين الأثرياء والفقراء، حتى أصبح الفقراء يتواجدون على أرصفة الطرق، وصاروا في حالة استعداد وتأهب للثورة والانقلاب. الأمر الذي دفعهم إلى اتباع المنصرين الذين أشركوهم وسجلوهم في الحروب الصليبية، ففي عام ٦٠٩هـ/١٢١٢م[١]، تجمع أفراد الحملة من جميع أنحاء الإمبراطورية، رجالا ونساء، متزوجون وغير متزوجين، وكل من كان في حاجة إلى المال ويفتقر إليه، ولكنهم أخفقوا وتم ذبح بعضهم على الطريق، كما تم بيع بعضهم في إيطاليا رقيقا[٢].

وبالرغم من الدور الذي لعبته النقابات في تحديد تكاليف الإنتاج وأسعار البيع، ووضع تسعيرة خاصة للبضائع، إلا أن هذا الأمر لم يتم مراعاته والسير عليه دائما. فكثيرا ما كان يقوم التجار باختراق هذه النظم وعدم الامتثال لها، ويظهر ذلك واضحا من خلال عظات برتولدمن ريجنسبورج Berthold of Regensburg والتي ألقاها عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، إذ يقول فيها: "وأنت أيها التاجر، إنما عليك أن تثق بالله ليجعل لك مورد رزق تحصل من ورائه على الكسب الحلال، لأنه قد وعدك بنعمه الإلهية. ومع ذلك فإنك تقسم الآن بصوت جهوري بأن بضاعتك آية في الجودة، وأنك بذلك قد أكرمت المشتري. ولقد أقسمت بالله وجميع قديسيه على بضاعة لا تكاد تساوي خمسة

---

(١) تم التجهيز للحملة في عام ١٢١٢م، وهي التي خرجت فيما بعد من أوروبا تحت رقم الحملة الصليبية الخامسة، وذلك في عام ٦١٥هـ/١٢١٨م. عن ذلك انظر:

- Oliver of Paderborn, The Capture of Damietta, Trans; Jhon, d. Cavigan, Philadelphia, 1948.

- Vitry, Jacques de, the history of Jerusalem, tran. from the latin, by Aubery Stewart, London, 1896.

محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

(2) Gauvard, La France au Moyen Age; PP. 263 – 264.

شلنات..."[1] إذا لم يمتنع التجار عن غش الناس وخداعهم والكذب عليهم حتى لو أقسموا على ذلك بالأيمان، دون الخوف من الله، ورغبة منهم في بيع بضائعهم حتى ولو لم تكن تساوي شيئا.

وكثيرا ما كان التجار يخترقون التسعيرة التي تم وضعها من قبل النقابات، نظرا لأن العقوبات لم تكن رادعة، وكانت تقتصر على بعض الغرامات التي لم تدفع في بعض الأحيان، بل إن القضاة لم يهتموا كثيرا بتنفيذها بصورة كاملة ضد المخالفين. فقد قام السيد و. هدسن W. Hudson بتحليل سجلات محكمة نورويتش Nurwich الموسمية في عام ٦٨٨هـ/١٢٨٩م حيث تبين أن الغرامات التي كان توقع لا تتمشى مع نصوص القانون، إذ تراوحت بين ثلاث بنسات وأربعة شلنات. كما كانت جملة الغرامات السنوية اثنين وسبعين جنيها وثمانية عشر شلنا وعشرة بنسات. وكان هذا هو المبلغ الذي قررته المحكمة، بل إنه إذا مضى على موعد استحقاق الغرامة عدة شهور فإنه لا يجوز للمحصلين تحصيل ما يزيد على سبعة عشر جنيها وبنسين[2].

وبهذا يظهر جليا أن القوانين لم تكن محكمة ولا الغرامات كافية وكان من السهل على التجار اختراقها، ثم دفع الغرامات التي لا تذكر، بل إنهم كانوا يتهربون من سدادها في كثير من الأحيان. ويظهر ذلك فيما كتبه السيد هدسن حيث يقول: "من الواضح أنه مهما كان نظام منع المخالفات من أن تمر دون اكتشافها فاعلا، فلم يكن قوي الأثر في الضرب على أيدي المخالفين لمنعهم من العودة إلى ارتكاب المخالفة. هذا، وقد كانت العقوبة الموقعة على الأشخاص الذين يقترفون المخالفات الخاصة بالتسعيرة الرسمية للجعة، أكبر مورد للبلدية. أما تسعيرة الخبز فلم يرد ذكرها إلا قليلا، وربما كانت تعالج بصورة أخرى. وكان سعر الجعة محددا طبقا لسعر القمح. كما كانت ربة كل بيت تقريبا من الأسر الراقية تقوم بتحضير الجعة وبيعها لجيرانها وكانت تبيعها دائما بسعر أعلى من السعر المحدد لها. ومن الواضح أن السلطات كانت تتوقع اتخاذ هذا السبيل، لأن تلك السيدات كن يقدمن للمحاكمة بصورة منتظمة، وتوقع

([1]) كولتون، عالم العصور الوسطى، ص١٩٨-١٩٩.

([2]) كولتون، عالم العصور الوسطى، ص٢٠٠-٢٠١.

عليهن الغرامات في كل عام لنفس المخالفة. وكن يدفعن الغرامات، ثم يكررن نفس العملية في المستقبل كما كان الحال في الماضي. وكثيرا ما كانت تمارس مثل هذه الوسيلة في مختلف أنواع التجارة والأعمال الأخرى. فثمة تجار الأسماك، ودباغو الجلود، وتجار الدواجن، والطباخون، وغيرهم، وكانت الغرامة توقع عليهم مرة واحدة، سنة بعد أخرى لمخالفتهم القوانين التي تتعلق بعملهم. وبالاختصار بدلا من أن يحصل التاجر – كما هو الحال الآن – على رخصة لمزاولة عمله بشروط معينة ينتظر منه أن ينفذها، كان يرتبط هو بشروط ينتظر منه أن يخالفها، ثم توقع عليه الغرامة لمخالفتها. وكان يتم الوصول إلى نفس النتيجة المالية بطريقة أخرى"[1].

إذا فإنه بالرغم من أن دور النقابات كان ضروريا جدا في تسيير العملية الاقتصادية وتنظيمها وسن القوانين اللازمة للعمل داخل السوق، لمنع وقوع أو حدوث أي ظلم داخل الأسواق على المشترين أو غيرهم، وبصورة خاصة قيامها بوضع القوانين التي تتعلق بتحديد تكاليف الإنتاج وأسعار البيع، وتحديد متوسط الأسعار، وفرضها تسعيرة خاصة على كل بضاعة أو سلعة، وحرصها على ألا يتم تجاوزها أو التحايل عليها، أو ممارسة الغش أو الخداع، إلا أن هذا كله لم يكن كافيا أو فاعلا بالشكل الكافي أو المرجو. حيث إن الطمع والجشع لدى التجار أو حب الكسب كان يفوق كل تلك القوانين، لذا فكثيرا ما كانوا يقومون بتجاوزها، دون أن يأبهوا لشئ، ودون أن يخافوا من العقاب الدنيوي أو عقاب الآخرة كأن الشيطان هو الذي يقودهم ويسيرهم. ولعل ما يجسد ذلك الأسطورة القائلة: "أن رجلا عندما دخل إلى الدير، وجد في الرواق العديد من الشياطين، ولكنه لم يجد في السوق سوى واحد فقط مرتكز على عمود عال في مكان السوق، الأمر الذي أصابه بالدهشة، ولكنه أخبر بأن كل شئ مهيأ في الدير لمساعدة النفوس على التقرب إلى الله لذلك فهناك حاجة كبيرة لكثير من الشياطين لاستمالة العباد إلى الضلالة والشرور، ولكن في مكان السوق، وحيث إن كل إنسان هو شيطان لنفسه، وبالتالي يكفي شيطان واحد فقط"[2].

([1]) كولتون، عالم العصور الوسطى، ص٢٠١-٢٠٢.

([2]) Jarrett, Bede, O.P., Social Theories of the Middle Ages, P. 164.

إلا أننا لا نستطيع أن نسفه أو نقلل من الدور الذي لعبته النقابات داخل الأسواق، وفاعلية دورها الرقابي حتى وإن كان يتم حدوث عدد من المخالفات برغم كل ما اتخذته من احتياطات إلا أن هذا أمرا طبيعيا، لأن الأرض ليست عامرة بالملائكة ولا هي جنة الله. ويكفي أن النقابات كانت تحدد طرق الإنتاج والبيع، وأثمان المواد الخام، والمصنوعات. كما كانت تحدد للسلع ثمنا عادلا أربع مرات أو خمس في كل عام بما تراه حافزا قويا للإنتاج ومجزيا لجميع المهتمين بها[١].

حماية تجار السوق من السلطة الحاكمة :

حرصت النقابات على توفير الحماية لتجار السوق من السلطة الحاكمة، بما سعت إليه من أن يكون لها السلطة العليا على تسيير الحركة التجارية، وحرصها على تحرير التجار من الرسوم والعوائد الجائرة، والإعفاء من بعض الضرائب التي كانت تعيق نشاطهم التجاري[٢]. إلى جانب رغبتها الشديدة في أن يكون هناك تضامن قوي بين أفرادها حتى يتمكنوا من رعاية مصالحهم، ومجابهة أي خطر قد يواجههم. لذا فإن أعضاء النقابات كانوا يتعاونون فيما بينهم بصورة كبيرة[٣]. يتساوى في ذلك نقابات الصناع والتجار حيث هدفوا إلى حماية مصالحهم ورعاية شئونهم وتأمينهم مما قد يصيبهم من خسارة في تجارتهم، أو احتكار أنواع معينة من التجارة لصالح أعضائها، وأيضا حماية التجار من اعتداء الأمراء على حقوقهم[٤]. إذ أن الغاية من هذه النقابات كان تنظيم نشاطهم التجاري وحماية أنفسهم من اعتداء الأمراء ونهبهم إلى جانب تأمين مصالحهم ورعايتها في الأسواق البعيدة والتأكد من مراعاة القوانين التجارية داخل المدينة نفسها[٥].

---

(١) محمود عمران، حضارة أوروبا، ص١٧٧.

(2) See: Stubbs, Select charters of English; PP. 131 – 132, and 308 .
See Also: Gross, The Gild Merchant, P. 292.

(٣) نقولا زيادة، عالم العصور الوسطى، ص١٩٤.

(٤) جوزيف نسيم، تاريخ العصور الوسطى، ص٢٣١.

(٥) سعيد عاشور، تاريخ أوروبا، ج٢، ص١٠٢، نقولا زيادة، عالم العصور الوسطى، ص١٩٥.

كانت البرجوازية بمثابة المنفذ للنقابات، إلى جانب ماكانت تقوم به السلطة من سن القوانين لها، حيث قام القديس لويس Saint Louis (٦٢٤-٦٦٩هـ/١٢٢٦-١٢٧٠م) بسن عدد من القوانين من أجل النقابات في باريس. والتي كانت تتكون من هيئات مسئولة عن تنفيذ قوانينها، إذ كان لرؤساء الحرف الشرطة الخاصة بهيئاتهم، كما كان هناك إدارة وقيادة داخلية وأيضا سلطة قضائية، ولكنهم كانوا مسئولين أمام رئيس أو عميد التجار عن الاضطرابات والفوضى الحادثة داخل النقابات[١].

وربما يقصد برئيس أو عميد التجار هذا، رئيس اتحاد التجار الذي يتم انتخابه من بين مجلس المدينة، على أن يكون عادلا وأمينا ومؤهلا لهذا المنصب[٢].

كانت بعض المتاجر في باريس تتمتع بمستوى عال من الاستقلالية، وكان الخبازون أحد هؤلاء حيث كان لرئيس نقابتهم سلطة في الأمور القضائية التي تتعلق بأعضاء الحرفة بما فيها الدعاوى المدنية ما عدا تلك المتعلقة بالملكية وقضايا الاعتداء بالضرب والتي لم يحدث فيها إراقة للدماء، وهو مسئول أيضا عن تجميع الغرامات لصالح النقابة[٣].

فكأن التجار قد انضموا تحت راية النقابات لكي يحموا أنفسهم من أمور كثيرة، كالضرائب التي قد تصل أحيانا إلى حد المصادرة وأيضا عمليات الابتزاز التي كان يقوم بها بعض ملاك الأراضي من الأرستقراطيين[٤]. فرأينا البراءة الممنوحة لبيفرلي Berevley تحرر مواطنها من مجمل الضرائب[٥]. كما أعفت البراءة الخاصة بمواطني دونويش Dunwich من الضرائب ورسوم العبور عبر أراضي لندن وأن يتمتعوا بكافة الحريات الخاصة بموطني مدينة لندن وأن يدفعوا رسومهم بأنفسهم[٦]. الأمر الذي يظهر مدى أهمية مثل هذه البراءات التي كانت تمنح للمدن

---

(1) Duruy, Histoire de Moyen Age; P. 354.

(2) Gross, The Gild Merchant, Vol. II, PP. 119 – 122.

(3) Singman, Dally Life; P. 194.

(٤) محمد مرسي الشيخ، النظم والحضارة الأوروبية، ص٩٢.

(5) Stubbs, Select Charters of English; PP. 131 – 132.

(6) Stubbs, Select Charters of English; P. 308.

من قبل السلطات الحاكمة داخل المدن. بعد أن اغتصبت المجالس السلطة في المدن تحكمت نقابات التجار وسيطرت على جميع حكومات الشمال وذلك في القرن الثالث عشر الميلادي، بيمنا كان للمدن الإيطالية أنظمة لحكم المدينة والتي اعتمدت على منظمات الحرفيين. وأصبح لمجموعات كبيرة من النقابات الحق في شغل عدد من المقاعد في المجلس. وقد نظمت نقابات الحرف بعناية تبعا لمكانتها في السلطة، إذ لم تكن كل نقابة من النقابات مؤلفة من العمال اليدويين، فعلى سبيل المثال كان بفلورنسا Florence سبعة نقابات كبرى، كانت أحدهم القضاة وكتاب العدل[1].

فأي مكانة تفوق تلك المكانة التي حققتها النقابات، والتي مكنتها من إحراز السلطة حيث تستطيع من خلالها أن تحمي أعضائها من التجار والصناع داخل الأسواق من السلطة الحاكمة وغيرها، وخاصة أن أي اختلافات أو مظالم تحدث داخل الأسواق سوف ترفع وتنظر داخل تلك المحاكم الخاصة بالسوق والتي ترأسها النقابات في نفس الوقت. وبما أن النقابات قد تكونت من قبل اتحاد التجار والصناع، الذين كانوا يشكلون الطبقة الوسطى، فقد أخذت هذه الطبقة في التدرج حتى اعترفت بها السلطة. وتمكنت من الحصول على نظام مستقل في القضاء، مما استلزم قيام محاكم جديدة يستطيع أعضاؤها المختارون من بين سكان المدينة أن يوفروا العدالة التي ينشدها سكان المدينة[2].

أخذت النقابات في الظهور كقوى مسيطرة على حكومة المدينة، فطورت بعض المدن – مثل لندن – الحكومة المحلية إلى عدد النقابات الحرفية القائمة. وأخرى كانت تسيطر عليها نقابة واحدة غالبا ما تكون نقابة التجار حيث كان أعضاؤها من أغنى وأقوى رجال النقابات في المدينة. ولعل أكبر مثال على ذلك، هو أن تجار المياه في باريس قد سيطروا على تجارة باريس في السين Seine، منذ ظهورهم. حتى قام الملك لويس التاسع Louis IX عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م بتعيين أربعة محلفين من تجار

([1]) Nicholas, The evolution of the medieval world; P. 304.

([2]) نعيم فرج، الحضارة الأوروبية، ص١٣١.

المـاء كقضـاة للمدينـة وأصـبحت نقابـة تجـار الميـاه واقعيـا هـي الحكومـة المحليـة لباريس[١]. وبهذه المكانة الكبيرة التي وصلت إليها النقابات لم يكن من الصعب عليها توفير الحماية اللازمة لأعضائها داخل السوق، سواء من السلطة الحاكمة، أو حمايتهم من المنافسة الخارجية بما فرضته على التجار الأجانب من قيود[٢].

كانت اتحادات لندن London ذات تنظيمات، ربما تكون مفروضة من السلطة الملكيـة، بيـد أن هـذه القـوانين ربمـا تكـون قـد أكـدت تنظيمـات اتحاديـة موجـودة بالفعل[٣]. حيث أصدر الأساقفة وممثلوهم التابعين لمدينة لندن أمرا صارما يخص اتحادات الحماية المشتركة "الأمن" وكذلك النبلاء والأحرار من غير النبلاء، إذ قرروا اختيار عشرة رجال يعملون معا ويحدد من بينهم رئيسا يقوم بالإشراف عليهم ويوجـه التسـعة إلـى ضـرورة القيـام بجميـع الواجبـات الملقـاه عليهم، والتـي أكدوها من قبل، ثم بعد ذلك يقوم العشرة باختيار رئيس آخر من غيرهم يتولى التأكد من قيامهم بجميع الواجبات الملقاه عليهم، وبذلك يصبحوا أحد عشر فردا، وهـؤلاء يقومـون بالمحافظـة علـى الأمـوال، فيقومـوا بـدفع مـا هـو مقـرر عليـهم، ويحصـلوا مـا لهم. حتـى يكـون التعامـل فـي الأمـوال صـحيحا، وعليهم أن يدعوهم يتأكدوا أن أي تدخل أو إسـهامات تكـون للصـالح العـام، ويجـب أن يقـوم كل عضـو منهم بمعاونة زميله[٤]. كما شرطت عليهم أن أي شخص يسمع استغاثة أخيه فيجب عليه تقديم يد العون إليه في تعقب أثر الجناه[٥]. الأمر الذي يظهر ضرورة تضامن الجميع مع بعضهم البعض للضرب على يد المعتدين، ومساعدة الشخص المضار في نفس الوقت إذ أن هدف الجميع كان حماية تجار السوق من أي ضرر أو اعتداء

---

(1) Singman, Dally life; P. 197.

(2) See: Thorpe, Ancient laws and Institutes of England; P. 462.

See Also: Gross, The Gild Merchant, Vol. II, P. 59.

(3) Laws of the City of London: in; Cave Coulson, A Source Book; P. 194.

(4) Stubbs, Select Charters of English; PP. 76 – 77.

(5) Stubbs, Select Charters of English; PP. 76 – 77.

يقع عليهم.

كما اشتمل المرسوم على ما نصه أنه "إذا أغفل أحد حقوقنا لارتباطه بقرابة حميمة مع أحد في داخل البلاد أو خارجها كأن يقفوا مدافعين عن اللصوص، فإننا سنتوجه إليهم مصطحبين معنا المستشارين القانونيين الذين سيقومون بمحاسبتهم. وباستدعاء المستشارين القانونيين من الناحيتين ويطلب منهم المساعدة وإمدادهم بالعديد من الرجال الذين سيتمكنون من أداء هذه المهمة، لأنه في حالة تجاهل مرسوم السلام هذا أو التعهدات التي تم أخذها فيه، فإنه من المتوقع بل من الأكيد أن اللصوص ستكون لهم الكلمة العليا ويستفحل أمرهم أكثر مما كانوا عليه في الماضي"[١].

مما سبق يتضح لنا أن النقابات قد قامت بدور كبير داخل الأسواق، خاصة فيما يتعلق بحماية التجار وحماية مصالحهم من أي اعتداء، حتى ولو كان هذا الاعتداء من قبل السلطة الحاكمة. لذا فإنها سعت للحصول على الكثير من الحريات والضمانات التي تكفل لهم حرية التصرف وإصدار القوانين، وليس من شك في أن تلك الحريات قد حصلت عليها من السلطة الحاكمة، مقابل ما كانت تدفعه لها من ضرائب ومكوس. كما أنها تمكنت من تحقيق ذلك بما توافر بينهم من ترابط وتضامن كفل لهم الوصول إلى القوة والمكانة اللازمة لتحقيق تلك الحماية. حيث كانت النقابات تتدخل لمقاومة اللصوص، وسادة الإقطاع، والضرائب والعمال المشاكسين، والحكومات التي تفرض الضرائب الفادحة. وصار لها شأن كبير في السياسة، وأصبحت تسيطر على كثير من المجالس البلدية، وكثيرا ما أمدت الأقاليم بتأييد قوي في كفاحها ضد السادة الأساقفة والملوك[٢].

الدور الاجتماعي للنقابات :

تأسست النقابات لأغراض خيرية واجتماعية إلى جانب دورها التجاري. لذا فعندما كانت تحل بأحد أعضائها فاقة أو مرض كان يعتمد على النقابة لمساعدته، وعندما

---

(١) Stubbs, Select Charters of English; PP. 76 – 77.

(٢) محمود عمران، حضارة أوروبا، ص١٧٧.

يموت كانت تدفع مصاريف القداس الديني. كما كان زملاؤه من أعضاء النقابة يشاركون في مراسم الجنازة والعزاء[١].

كان أصحاب كل مهنة مترابطين ومتضامنين فيما بينهم وكانوا في الغالب يشكلون فيما بينهم زمالة وأخوية والتي كانت على شكل تجمعات ذات هدف ديني. إذ أن هؤلاء الزملاء كانوا يحترمون ويقدرون القديس الشفيع الذي يحمي ويدافع عن المهنة أو النقابة، فقد تجمعوا للصلاة والدعاء للمتوفين ولطلب الرحمة ونشر المحبة بين من هم على قيد الحياة، فعلى سبيل المثال، كان القديس كوزمو Cosme ، والقديس دميان Damien لنقابة الأطباء، والقديس كريبينين Crepinien والقديس هيو لصناعة الأحذية. كما كان هؤلاء الزملاء على استعداد كامل لتقديم المساعدة والمؤازرة في حالة الوفاة أو المرض. إذ أن هذه الزمالة والأخوية كانت بمثابة مجتمعات للتعاون المتبادل وتجمعات للتقوى والمحبة. وقد نشأت بينهم علاقات وروابط متقاربة جدا ودقيقة والتي أصبحت نوعا من أنواع المصاهرة والقرابة، ومن هنا جاء تسمية الزملاء[٢]. إذ قامت هذه النقابات بتزويد سكان المدن ببعض الوظائف الاجتماعية، مثل تنظيم الأعياد الاجتماعية والاحتفالات الدينية. وتقديم المساعدة للأرامل والخدمات الخيرية لأعضائها[٣]. الأمر الذي يظهر أن أهمية النقابات لم تقتصر فقط على الجانب الاقتصادي، وإنما تعدتها أيضا إلى الجانب الاجتماعي، فأصبح أعضاء النقابة بمثابة أفراد الأسرة، يشتركون ليس في إحياء الأعياد العديدة فحسب، وإنما أيضا في الحفلات الخاصة بهم. فقدموا المساعدة لمن يصاب منهم بمرض أو عجز. بالإضافة إلى تشييع موتاهم والاهتمام بذويهم[٤]. كما كان أعضاء النقابات يجدون التأييد

([1]) Rowling, Everyday Life; PP. 64 – 65.

([2]) Ganuvard, la France au Moyen Age; P. 263.

Duby, Mandrou, Histoire de la Civilisation; P. 183.

شيني، تاريخ العالم الغربي، ص١٥٢.

([3]) Singman, Dally Life; P. 194.

([4]) سعيد عاشور، تاريخ أوروبا، ص١٠٤-١٠٥.

والمساندة فيما بينهم، مثل المساعدة لكبار السن، والأرامل والأيتام[١]. فلم تكن النقابات تكتفي بحماية أصحابها من المنافسة الخارجية، والحرص على دقة المنتجات الصناعية وإتقانها فقط، وإنما سعت كذلك إلى المحافظة على مستوى معين من السلوك والخلق لأصحاب الحرفة الواحدة، لذا فإنها كانت توقع على الفرد غرامة إذا حضر اجتماعا بدون حذاء أو جورب، أو إذا كان سئ السلوك. وفي حالة ما إذا قام عضوان بالمشاجرة فإن الاتحاد يهب لمصالحتهما، فضلا عن ضرورة التضامن فيما بينهم[٢]. يتساوى في ذلك نقابات الحرف ونقابات التجار حيث كانت تقوم الأخيرة ببناء المستشفيات والمدارس، وتقديم التأمين بصور مختلفة، وتقديم المعونة للفقراء من أعضائها، والتبرع بالجهد والمال لبناء الكنائس الصغيرة والكبيرة[٣]. كما أصبح لكل نقابة كاهن خاص تساعده هيئة دينية مختارة من بين أعضاء النقابة[٤]. وأصبح قيام النقابات بهذا الدور الاجتماعي أمرا مهما جدا لرعاية أعضائها فقد قامت تنظيمات طباخي باريس بوضع نص فيما يتعلق بثلث الغرامات المجباه عن طريق الحرفة، والتي كانت تؤخذ من أعضائها في حالة ارتكابهم مخالفة، حيث تم استخدامها في مساندة أصحاب الحرفة القدامى والذين انخفض دخلهم من التجارة أو كبر سنهم[٥].

كان لكل نقابة طائفية عيد سنوي تمجد فيه شفيعها القديس، ويبدأ هذا العيد بصلاة قصيرة يقضون بعدها يومهم في الشراب. ولم تكتف النقابة بالاشتراك في تمويل الكنائس في مدينتها وتزيينها فحسب، لكنها شاركت في إعداد التمثيليات الدينية وفي القيام بتمثيلها . وكان كبار رجالها يشاركون في الاستعراضات البلدية بأثوابهم الزاهية، رافعين أعلام حرفتهم في مواكب ضخمة[٦]. ولعل هذا يتماثل مع ما تقوم به

---

(1) Duruy, Histoire de Moyen Age, P. 354.

(٢) كولتون، عالم العصور الوسطى، ص٢٠٠، جوزيف نسيم، حضارة أوروبا، ص٢٣١.

(٣) محمود عمران، حضارة أوروبا، ص١٨٠.

(٤) نعيم فرج، الحضارة الأوروبية، ص١٣٤.

(5) Singman, Dally Life; P. 194.

(٦) محمود عمران، حضارة أوروبا، ص١٧٨.

الشركات الآن في عصرنا الحاضر من احتفاليات ومسابقات رياضية وغيرها، حرصا منها على الترابط بين أعضائها وإذكاء المنافسة الحميمة فيما بين الشركات من جهة، ولكي تكون مثل هذه الاحتفالات بمثابة صورة إعلانية تستخدم كدعاية لتلك الشركات من جهة أخرى.

ولعل أروع ما كانت تقدمه النقابات كان تلك المسرحيات التي كانت تمثلها، والتي كانت تعتبر عوامل جذب للأسواق، وعاملا مساعدا في تحقيق الرواج لها، إذ أنهم كانوا يمثلون نصوصا من الكتاب المقدس، كانت تجذب مسامع البسطاء وتحبب إليهم المشاهدة، نظرا لأنها كانت تعرض بأسلوب فكاهي، كما كانت تسهل لهم فهم الكتاب المقدس. ففي كل صيف كانت النقابات المهنية تقوم بتقديم المسرحيات، من على منصات موضوعة على عربات نقل كبيرة متحركة تقف في أماكن معينة ومعروفة، كان يشاهد فيها المتفرج تمثيليات متعاقبة. فكان صانعوا السفن يمثلون سفينة نوح، والصاغة يمثلون "سجود الملوك المجوس الثلاثة للطفل في بيت لحم"[١] . وقد تعددت الصور التي قامت النقابات بتمثيلها، واشتملت على مشاهد كثيرة ارتدوا فيها ملابس ملفتة، ذات ألوان جذابة جميلة. حيث قدموا التمثيليات الدينية التي تدور أحداثها حول حياة السيد المسيح، وتمثيلية اللصوص يخرجون مسرحية تابوت العهد وغيرها[٢]. وكانت كل نقابة تشارك في مسرحيات المعجزة التي سنت في المدن في أيام أعياد القديسين. وقد كان يتم كتابة هذه المسرحيات على طريقة النصوص التي جاءت في التوراة، لكنها كانت تحتوي أيضا على العديد من المواقف الهزلية[٣].

مما سبق يتضح لنا أن النقابات في مدن أوروبا العصور الوسطى، قد بلغت شأنا كبيرا بما حققته من مكانة حققت لها نفوذا سياسيا واقتصاديا، ثم اجتماعيا أيضا. حيث شاركت مشاركة ملموسة وفاعلة في جميع نواحي الحياة الاجتماعية، الأمر الذي يجعلنا ندرك مدى أهمية هذه النقابات في المجتمع الأوروبي الوسيط.

---

(١) شيني، تاريخ العالم الغربي، ص١٥٣-١٥٤.

(٢) بيشوب، تاريخ أوروبا، ص٢٢٧.

(3) Rowling, Everyday Life; P. 65.

العصبة الهانزية (أو اتحاد الهانزا) :

بداية إذا أردنا التعرف على كلمة هانزا Hanse ، سنجد أنها تختلف من مكان لآخر، إذ كانت تعني في الفلاندرز Flanders ، مجموعة الرسوم والضرائب التي يفرضها التجار على المدينة، بينما في ألمانيا كانت تعني الرسوم أو الضرائب التي يفرضها السيد على التجار الأجانب والمحليين[١]. وعلى هذا المعنى الأخير فإن حدوث أي شغب من تلك المجموعات فإن السلطة الحاكمة كانت تتخلص من بعضهم. مثلما حدث عند قيام رئيس أبروشية بريمن Bremen ، بالتخلص من مجموعات منهم عندما اقترفوا سلوكا سيئا وأعمالا مؤذية وانتهاكا للقوانين. مما سبب أضرارا لأهل المدينة، كما أعلن عددا كبيرا من الناس الذين يقدمون بسفنهم الجائلة إلى شواطئ المدينة أنهم قد أضيروا كذلك من تصرفاتهم، لذا فقد قام رئيس الأبروشية بالتخلص من بعضهم حيث كانوا يدعون بـ Sleischat أو Hanse نزولا على طلب المواطنين ورغبتهم[٢].

لعل هذا الأمر كان في بداية ظهور هذه الاتحادات لكن مع مرور الوقت أصبحت أكثر تنظيما، وصار لها دورا فاعلا في تنظيم الحياة الاقتصادية.

قد كان أول استخدام لكلمة hanse ، جاء لوصف مجموعة من الرسوم والضرائب التي كانت تفرض على التجار الذين كانوا يقدمون من مناطق أخرى وكانوا يرغبون في الحصول على امتياز يتيح لهم بيع بضائعهم في البلدة التي تستخدم الهانزا، وهذه الرسوم المفروضة كانت من قبل تجار المدينة. هذا فإن معنى الهانزا hanse تعني شخص يمنح نفس الامتيازات التجارية التي يتمتع بها مواطنوا المدينة نفسها. ومع مضي الوقت بدأت هذه الكلمة تنطبق على المنظمات، مثل الاتحاد الذي استقبل الهانزا، وفي النهاية عندما اتحدت اتحادات متنوعة للتجار والحماية المشتركة أطلق هذا المصطلح على مثل هذا الاتحاد[٣].

---

(1) The Hanse: in; Cave, Coulson, A Source Book, P. 218.

(2) Sartorius, Urkundliche Geschichte des ursprunges der Deutschen Hanse, Vol. II, A.D. 1181, P. 8.

(3) Cave, Coulson, A Source Book; P. 217.

وقد كان السبب في قيام هذه الاتحادات أن مدن شمال أوروبا، في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، عندما بدأت في زيادة روابطها التجارية، واجه تجارتهم عائق كبير يتمثل في عدم الأمان والفوضى اللذين سادا في كل مكان. حيث أصبح التاجر الذي يحمل سلعا متوجها إلى السوق الإيطالية يتعرض لخطر خسران تلك السلع على أيدي النبلاء المغتصبين، الذين فرضوا سيطرتهم على كل الطرق البرية وقاموا بسرقة التاجر بصورة كاملة أو فرضوا عددا من رسوم المرور والضرائب الجائرة على متاجره. كما أن الطريق البحري لم يكن أقل خطرا، فقد زادت سفن القراصنة في المياه واتخذت من أي سفينة تجارية سيئة الحظ تقع تحت أيديهم غنيمة، حيث كانوا يستولون عليها عن طريق استخدام القوة المسلحة ضدهم أو عن طريق استخدام المنارات الخادعة حيث تجعلهم يتوجهون إلى شواطئ خطرة الأمر الذي يعرضهم للتحطم على تلك الشواطئ[1]. فقد كانت القرصنة منتشرة في العصور الوسطى انتشارا كبيرا، الأمر الذي أجبر السفن التجارية على أن تسلح نفسها حتى تستطيع الدفاع وقت الخطر، فأصبحت كل سفينة تحتوي على ساحة للقتال، وفي بعض الأحيان على ساحتين، إحداهما في المقدمة والثانية في المؤخرة[2]. وقد استخدمت سفن البحار الشمالية فكرة بناء ساحة للقتال[3].

فقد تعددت الاتحادات في أوروبا عموما مثل الاتحادات في ألمانيا والفلاندرز Flanders، والتي قامت بالاندماج مع بعضها البعض لكي تشكل اتحادا أكبر.

فقد تكون الاتحاد الفلمنكي في لندن مثلا، من اتحاد مجموعات بروج Bruges، ويبرس Ypres، وأصبح معروفا في شمال أوروبا. وقد تنامت أهميته في القرن الثاني عشر حيث قام بالتركيز على التجارة مع لندن London، وأصبح عبارة عن مؤسسة أرستقراطية من

([1]) Myers, Medieval and Modern History; P. 155.

([2]) سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، ط٢، دار المجمع العلمي، جدة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص١٦١-١٦٢.

([3]) قد انتقلت فكرة بناء ساحة للقتال وكذلك اصطلاح (Fors Castle) ، من سفن البحر المتوسط إلى سفن البحار الشمالية، وذلك إبان الحروب الصليبية. عن ذلك انظر: سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية، ص١٦٢.

التجار الأغنياء يعيشون فيما لا يزيد عن خمسة عشرة مدينة، هي بروج Bruges، ويبرس Ypres، ديكسمود Dixmude، أردنبرج Ardenbourg، ليل Lill، وDanme وThourout وFurnes وTournai وOrchies وBailleul وPoperinghe[1].

قام اتحاد القطلان والبرفنساليين وتجار اللانجدوك للمشاركة في التجارة، وفي نفس الوقت قام اتحاد تجار شمال فرنسا في المنطقة التي تقع حول باريس ونورماندیا وبيكاردي وكذلك اتحاد الفلاندرز والبلاد الواقعة على نهر الراين، فقد اتحد هؤلاء جميعا في نهاية القرن الحادي عشر في نقابات أو اتحاد حماية ودفاع مشترك. وليكون مشابها ومماثلا لنقابة القديس أومير التي تأسست ٤٦٥-٤٨١هـ/١٠٧٢-١٠٨٨م. وهؤلاء بعد ذلك اتحدوا معا فيما عرف باسم الهانزا والتي أصبحت أكثر قوة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وارتفعت من سبعة عشرة مدينة إلى ستين مدينة فيما بعد، من شامبني Champagne، بيكاردي Picardy، وهينولت Hainault، والفلاندرز Flanders، وفرنسا ونورماندي Normandy، وبربانت Brabant، بهدف تنظيم أو تسهيل العمل في أسواق شامبني Champagne[2]، وتنمية التجارة بين الفلاندرز Flanders وشمال شرق فرنسا وأسواق شامبني Champagne[3]. وكان على نفس هذا النموذج أيضا، الاتحاد الألماني المشهور بالاتحاد الهنسي Hanseatic، ذلك الاتحاد الذي شكل من أجل احتكار تجارة المرور بين البلدان الشمالية والغرب[4].

ارتفعت أوضاع اتحادات ألمانيا في القرن الثاني عشر، حيث بدأت المدن الألمانية في تأكيد سلطتها. وفي منتصف القرن طالبت المدن من الإمبراطور فردريك بربروسا منحهم امتيازات في البلاد الأجنبية. وقد حصلوا على هذه الامتيازات في

---

(1) Cave, Coulson, A Source Book; P. 217.
(2) Boissonnade, Life and work; P. 163.
(3) Cave, Coulson, A Source Book; PP. 217 – 218.
(4) Boissonnade, Life and Work; P. 163.
See Also: Pirenne, Cohen, Focillon, la Civilisation; PP. 128 – 129.

لندن London عام ٥٥٢هـ/١١٥٧م، حيث كان ملك انجلترا هنري الثاني يسعى إلى تحقيق مكسب خاص لذا رحب بالتجار الأجانب[١]، فتأسست المصانع في لندن، وبرجن Bergne، ونوفجورد Novgorod، وفي مدن وبلدان أقل من ذلك[٢]. ومنذ أخذ التجار الألمان في العمل على تنظيم أنفسهم في جماعات كبيرة لحماية مصالحهم، فأنشأوا لأنفسهم مراكز تجارية كبيرة في لندن وبروج وفي أماكن حول البلطيق[٣]. لذا فمنذ القرن الثاني عشر الميلادي، نجد تجار مدن شمال شرق ألمانيا – وعلى رأسها هامبورج Hamburg وليوبك Lubeck – يتجهون شرقا ليؤسسوا مراكز لعملياتهم التجارية في نوفجورد Novgorod في روسيا وبرجن Bergen في النرويج، ووتن Wuten في السويد ويزبي Wisby في جزيرة جوتلاند ببحر البلطيق، في حين اتجه تجار مدن شمال غرب ألمانيا – وعلى رأسها كولونيا Cologne – نحو الغرب واتخذوا من مدينة بروج في الفلاندرز (في بلجيكا الحالية) ومدينة لندن وغيرها مراكز رئيسية لعمليات التبادل التجاري[٤].

وفي عام ٦٣٩هـ/١٢٤١م عقدت مدينتا ليوبك Lubeck وهامبورج Hamburg تحالفا تجاريا مشتركا واتفاقا للحماية فيما بينهما، متضمنا اتخاذ قوانين صارمة من أجل القضاء على أعمال القرصنة وحماية مدنهم التجارية، والضرب على أيدي اللصوص والمعتدين والقبض عليهم وتسليمهم للسلطات لينالوا عقابهم[٥].

---

(١) عن العلاقات الخارجية للاتحادات الألمانية انظر:

Lappenberg, Urkundliche Geschichte des Hansischen; Part II, A.D. 1157, PP. 3 – 5.

عن التجارة الألمانية الدولية انظر:

Pirenne, Cohen, Focillon, La civilisation; P. 131.

(2) Cave, Coulson, A Source Book; PP. 217 – 218.

(٣) نقولا زيادة، عالم العصور الوسطى، ص١٩٥.

(٤) نعيم فرج، الحضارة الأوروبية، ص١٤٧.

(5) Keutgen, F., Urkunden zur stadtischen V erfassungsges Chichte, (Emil Felber, Berlin, 1901), A.D. 1241, P. 521.

قام الاتحاد بإنشاء بيوت تجارية له في نوفجورد وبرجن وبروج ولندن، على أن موقف تجار هذا الاتحاد من قوانين البلاد التي أنشأوا فيها بيوتهم التجارية اختلف من مكان لآخر، ففي لندن وبروج نجدهم قد خضعوا لقوانين البلاد، أما في روسيا واسكندنافيا اتبع التجار نظمهم الخاصة[١].

على أن الأهداف الأساسية للعصبة الهانزية، كانت تتلخص في حماية تجارها من الأعداء والمنافسين، بالإضافة إلى التوسع في الحصول على المزيد من الامتيازات التجارية[٢]. ومن أجل تحقيق أهدافها السابقة قامت بإنشاء أسطول ضخم، تنفق عليه المدن من أجل حماية سفنها[٣]. ولم تكتف العصبة الهانزية بتلك القوة البحرية الضخمة وإنما أنشأت أيضا جيشا بريا إلى جانب جيشها البحري. الأمر الذي دفع ملوك أوروبا لمحالفتها خوفا من بأسها. ودفعت المدن التجارية الأعضاء في العصبة ضرائب منتظمة من أجل الإنفاق على جيش العصبة وأسطولها. وقد استطاعت قواتها أن تلحق الهزيمة بملك الدانمارك والديمار Waldimar[٤] (٧٤١-٧٧٧هـ/١٣٤٠-١٣٧٥م)، عندما حاول فرض الضرائب على السفن الألمانية التي تبحر في المياه الدانماركية، بل إنها أجبرت السلطات الدانماركية ألا تختار ملكا إلى بموافقة العصبة[٥].

على أن النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي، شهد ضعف العصبة، ثم انهيارها، وذلك نتيجة لأسباب عددية متباينة، منها ما يرجع إلى روح الأنانية

---

(١) نقولا زيادة، عالم العصور الوسطى، ص١٩٥.
عن تجارة العصبة الهانزية انظر:
Pirenne, Cohen, Focillon, la Civilisation; P. 130.

(٢) نعيم فرج، الحضارة الأوروبية، ص١٤٨.

(٣) نقولا زيادة، عالم العصور الوسطى، ص١٩٥.

(٤) والديمار Waldimar : هو والديمار الرابع الذي دخل في صراع عنيف مع العصبة الهانزية، وتمكن فعلا من انتزاع ثغر ويزبي منها، إلا أنه لم يلبث أن أدرك أنه يناطح قوة جبارة يصعب التغلب عليها، إذ لم يحل عام ١٣٧٠م إلا وكانت قد استردت جميع امتيازاتها. عن ذلك انظر: سعيد عاشور، تاريخ أوروبا، ج١، ص٥٩٧.

(٥) نعيم فرج، الحضارة الأوروبية، ص١٤٨.

والكبرياء التي سيطرت عليها ومنها ما يرتبط بعوامل أخرى خارجية لا يد لها فيها[1].

بيد أن قيامنا بإعطاء تلك اللمحة السريعة عن قيام العصبة الهانزية وازدهارها ثم انهيارها وإدخالها في مجال البحث يعود إلى أن هذه الاتحادات وأمثالها تعد قمة وذروة ما وصلت إليه النقابات في أوروبا العصور الوسطى، ودليلا على أن النقابات لم تكتف بدورها المحلي، وإنما كان لها دورا دوليا كذلك.

كما لم يتم تناوله في البحث بصورة مفصلة لأنه وإن كان قد بدأت بوادر بزوغه في القرن الثاني عشر الميلادي، إلا أن قمة مجده ووصوله لمعنى العصبة ثم في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي. وإن كان هذا الأمر لا يمنع من إبراز دوره عند الحديث عن النقابات ودورها في حماية التجار على اعتبار أنه يمثل القوة الضاربة لصورة النقابات.

مساوئ النقابات ومثالبها :

تم فيما سبق عرض وتحليل لنشأة النقابات، والأسباب التي دعت لوجودها في الغرب[2]، وكيف أن تلك النقابات قامت بدور كبير في حماية التجار ورعاية مصالحهم داخل الأسواق، بما شرعته من قوانين مكنتها من القيام بذلك الدور. إلا أنه بالرغم من كل ما امتازت به النقابات من مميزات، إلا أنها لم تكن تخلو من وجود عدد من المثالب والمساوئ.

فإن كانت النقابات قد نجحت في رعاية مصالح أعضائها من التجار والصناع وتحقيق الحماية لهم، بما وصلت إليه من سلطان، وبما نزعت إليه من احتكار، إلا أن ازدياد نفوذها في المدن، أدى بها بالتالي إلى التعسف في استخدام هذا النفوذ وأصبح سلطانها عبئا على الناس. إذ أن قيامها بحماية أعضائها من التنافس عن طريق تحديد عدد الصبية الذين يتم قبولهم في الحرفة، قد جعل من الصعب على العامل الدخول في

---

(1) سعيد عاشور، تاريخ أوروبا، ج١، ص٥٩٩-٦٠٠، نعيم زكي، طرق التجارة، ص١٣٣-١٣٤، نعيم فرج، الحضارة الأوروبية، ص١٤٨-١٤٩.

(2) قد ظهرت النقابات في الشرق، كما ظهرت في الغرب، ومن أجل تحقيق نفس الأهداف. عن ذلك انظر: نعيم زكي، طرق التجارة، ص٣٣١.

دائرتها. فلم يعد الصبي يعمل في منزل الأسطى، بل أصبح يتسلم منه المواد الخام اللازمة لعمله ليقوم بتصنيعها في منزله. وبهذا أصبح أكثر عرضة للبطالة، بل أخذ يكدح بأقصى ما في وسعه حتى لا يتعرض لقطع أجره، أو لكي يحصل على أجر أعلى، مما جعل الأمر يصل بالعمال في نهاية العصور الوسطى إلى مجرد مجموعة من الأجراء لا يفرق بينهم إلا نوع العمل[١]. كما أن تعليمات النقابة الخاصة بمنع إجراء أي تحسينات في التقنيات الصناعية ما لم تكن متوفرة لديهم جميعا وتم قبولها من قبل كل الأعضاء، قد أدت إلى جمود الصناعة وتخلفها وعدم إحراز أي تقدم فيها. هكذا، في القرن الثالث عشر الميلادي، عندما أصبح واضحا بأن الطاحونة المائية يمكن أن تؤدي عملية قصر القماش أسرع وأجود مما يمكن أن يصنع يدويا. ولم يتم تعميم هذا الأمر، نظرا لأن قوة الماء لم تكن متوفرة بالنسبة لكل نقابات القصارين، كما أنهم قاوموا الإبداع بصرامة وأقنعوا النقابات الأخرى برفض قبول القماش الذي لف في الطواحين. لذا فقد أسست طواحين اللف المبكرة على أراضي تقع تحت سيطرة السادة الذين تمتعوا بقوة كبيرة إلى درجة أنهم أخافوا الناس بصورة لم يستطع معها أحد الاحتجاج أو رفض المنتج الخاص بهم[٢]. وربما كان ذلك راجعا إلى نظام النقابات الخاص بالحرص على الاحتفاظ للحرفة بمستوى عال، مما جعلها تشترط على المشتغلين من الصناع بالحرفة ألا يستخدموا آلة أو أي وسيلة جديدة لا تقرها النقابة، مما قتل روح الابتكار والتجديد وأصاب الصناعة – كما ذكرنا من قبل – بالجمود[٣].

وقد اضطر هذا الأمر المبدعين إلى العمل خارج دائرة اختصاص النقابات.

على أن الرفض النقابي لاستخدام الأساليب المتطورة، أدى إلى ضعف نظامها نظرا لعجزه عن التكيف وفقا للتقدم الصناعي[٤]. كما أن القوانين التي وضعتها

---

(١) سعيد عاشور، تاريخ أوروبا، ج٢، ص١٠٥.

(2) Painter, History of the Middle Ages; P. 231.

(٣) سعيد عاشور، تاريخ أوروبا، ج٢، ص١٠٥.

(٤) محمد مرسي الشيخ، النظم والحضارة الأوروبية، ص٩٥.

لضمان وحدة الشكل في العمل وأدواته لم تكن صالحة للابتكار. لذا نجد أنه بالرغم من أن ماركو بولو Marco Polo قد وصف أوراق البنكنوت الصينية المطبوعة قبل عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م إلا أن الناس لم يبدأوا في تقليدها بصورة مبدئية سوى بعد ذلك التاريخ بمائة وعشرين سنة على الأقل، عندما طبعوا عليها صورا مصغرة للقديسين. كما أن نظم النقابات التأديبية لم تكن فاعلة دائما[1].

على أن هذا الكم من المساوئ والمثالب لا يقلل بأي حال من الأحوال من شأن النقابات ودورها الفاعل في إدارة دفة الحياة الاقتصادية داخل مدن أوروبا خلال العصر الوسيط.

---

(1) كولتون، عالم العصور الوسطى، ص١٩٩-٢٠٠.

الخاتمة

وأخيرا وبعد أن انتهينا من هذا البحث برزت لنا نتائج مهمة منها أن أوروبا لم تكن في غنى عن الأسواق المحلية. لحاجتها الملحة إلى التزود من خلالها باحتياجاتها الضرورية، وحتى وإن كانت أوروبا قد شهدت في فترة من فتراتها تراجع دور هذه الأسواق نظرا لحالة الفوضى السياسية التي شهدتها أوروبا والتي أدت إلى انغلاقها على نفسها حتى صارت تعتمد على كفاف العيش واكتفائها الذاتي، إلا أن الصورة لم تلبث أن تغيرت تماما مع الإحياء التجاري الذي شهدته أوروبا منذ القرن الحادي عشر الميلادي، وخاصة بعد عودة التجار للظهور، والزيادة السكانية، وتطور بعض الآلات والميكنة الزراعية مما أدى إلى وفرة الإنتاج وإحداث انتعاشة اقتصادية غير مسبوقة كان من آثارها عدم ملاءمة الأسواق المحلية نفسها لهذا التطور الحادث مما دعى إلى إيجاد أسواق كبرى تتلاءم مع هذا التطور وتتصف بالصفة الدولية.

شهدت أوروبا عددا من الأسواق الدولية الكبرى التي تميزت بمواقع جغرافية فريدة أهلتها لتلعب الدور الرئيسي في انتعاش التجارة، خاصة في ظل حركة التجارة المتحركة آنذاك. كما أسهمت عوامل عدة في قيامها وانتعاشها كانهيار الإقطاع ونشأة المدن، والموقع والحروب الصليبية، وانتعاش التجارة العالمية، مما جعل هذه الأسواق تلعب دورا محوريا بين تجارة الشرق والغرب بكافة أنحائه.

لعبت أسواق شامبني دورا رائدا في تجارة أوروبا حتى أن كونتاتها أنفسهم سعوا جاهدين من أجل توفير الأمن والحماية لكل القادمين إليها إلى جانب تعبيد الطرق المؤدية إليها وتأمينها حتى صارت تلك الأسواق مكتظة بأعداد غفيرة من تجار أوروبا من سائر بلادها يمارسون البيع والشراء والعمل كصيارفة مما حقق لهم ثروات عظيمة.

وقد تميزت أسواق الفلاندرز "الفلمنكية" بصناعة الأقمشة الصوفية حتى نجحت في تحقيق شهرة عالمية لها، جعلت تجارها يحملونها إلى أسواق شامبني نفسها ليحصلوا مقابلها على بضائع الشرق المختلفة مما حقق لهم ثراء كبيرا يظهر جليا في وصاياهم.

ومثلت الأسواق اللومباردية بسبب موقعها بين الشرق والغرب حلقة الوصل بين بضائع الجهتين والتي لم تكتف ببيعها داخل أسواقها فحسب، وإنما حملتها إلى كافة أسواق أوروبا خاصة أسواق شامبني والفلاندرز حتى لعب تجارها أكبر حركة وصل تجاري.

وتتضح أهمية هذه الأسواق أكثر فيما شهدته من اهتمام ورعاية مطلقة من جانب السلطة الحاكمة على اختلاف أنواعها، وبالتنوع الشديد للبضائع والمتاجر التي توافرت بداخلها حتى كان من الصعب على أي إنسان ألا يجد كل ما يرغب في شرائه داخلها.

وتظهر أهميتها كذلك في حرص التجار على إقامة مقار لهم بداخلها يتمتعون فيها بمطلق الحرية كأنها قطعة من أرضهم الأم حتى يمارسوا من خلالها متابعة نشاطهم، كما حرصوا على إقامة محاكم تكون الكلمة الأولى لهم فيها لتلائم حياتهم التجارية الجديدة، وقيامهم باستخدام العديد من المعاملات المالية والتجارية التي تيسر عليهم القيام بعملهم بصورة أكثر تحررا حتى ولو كان في بعضها معارضة لتعاليم الكنيسة، بل إنهم أجبروا الكنيسة على تعديل مثل تلك القوانين والتعاليم.

اهتم التجار بتشكيل اتحادات تجارية ينضمون تحت لوائها فيما عرف بالنقابات حتى يقوموا من خلالها بالحصول على سلطة مطلقة تمكنهم من رعاية مصالحهم بالأسواق. كانت هذه النقابات أشد ما تكون تنظيما وحازت نفوذا واسعا جعلها تسيطر على الحركة التجارية داخل الأسواق وأخذت في التطور حتى شملت انضمام مجموع اتحادات نقابات عدة دول، حتى تمكنت من فرض سيطرتها على الأسواق بصورة دولية وليست محلية داخل أسواق مدنها فحسب، وتعددت مثل هذه الاتحادات إلا أن أشهرها على الإطلاق كان العصبة الهانزية صاحبة أقوى اتحاد تجاري ظهر داخل أوروبا العصور الوسطى.

وبذلك نرى أن هذه الأسواق والمعارض الدولية لعبت دورا رائدا في حركة التجارة العالمية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وربطت هذه الأسواق المنتجات العالمية بعضها ببعض لأنها شملت جميع البضائع الواردة من

الشرق وبلاد غرب وشرق وشمال أوروبا، كذلك كان التنوع والكثرة والتخصص سمة واضحة كما كان النظام والدقة، والتعاليم المشددة، والنظم المقننة سببا كبيرا في ازدهارها وشهرتها التي كان لها أثر كبير على الحياة الاقتصادية لأوروبا خاصة ودول العالم الأخرى عامة.

الملاحق

ملحق رقم (١) قوائم بأسماء السلع الرئيسية بالأسواق واتجاهاتها.

ملحق رقم (٢) جداول لنشأة الأسواق وأسماء الملوك الذين أنشأوها وسنوات إنشائها.

ملحق رقم (٣) منحة لإقامة معرضين في مدينة اكس لاشابيل.

ملحق رقم (٤) منحة بإنشاء معرضين في مدينة ديوسبرج Duisburg.

ملحق رقم (٥) براءة لمدينة القديس أومير St.Omer.

ملحق رقم (٦) براءة لمدينة بروج.

ملحق رقم (٧) التقارير الواردة من أسواق شامبني Champagne.

ملحق رقم (٨) اتفاق الحماية بين هامبورج Hamburg وليوبك Lubeck.

ملحق رقم (٩) خرائط توضيحية.

ملحق رقم (١)

قوائم بأسماء السلع الرئيسية بالأسواق واتجاهاتها[١]

م	الأسواق والمعارض	السلع الرئيسية بها واتجاهاتها
١	أسواق شامبني Champagne	تخصصت أسواق شامبني بالمتاجرة في جميع السلع التي تقوم عليها التجارة، بسبب موقعها المتوسط بين الشمال والجنوب إلى جانب سهولة وصول التجار إليها. أما أكثر السلع التجارية أهمية بها فتمثلت في: المنسوجات الحريرية والصوف والكتان والجلود والفراء. بالإضافة إلى الصناعات الثانوية كصناعة الحلي والجواهر والعقاقير الطبية وتجارة التوابل والمواد الخام والماشية والرقيق وكافة المنتجات الأوروبية والآسيوية الأخرى. **بعض أنواع المنتجات الواردة إليها :** حمل إليها الإيطاليون: الأقمشة والسيوف والخيول. إلى جانب منتجات الشرق من الحرير والسكر والتوابل وغيرها مما حصلوا عليه من الشام. بينما حمل إليها الشماليون: الفراء والعسل إلى جانب منتجات غاباتهم الشهيرة. مثلما حمل إليها كذلك منتجات الأقمشة الفلمنكية الشهيرة. كما تم جلب منتجات انجلترا إليها خاصة إنتاجها المتميز من القصدير. قد قامت علاقة تبادل تجاري مهمة بين برشلونة وشامبني بدليل تواجد كميات وفيرة ومتنوعة – داخل أحد معارض شامبني الشهيرة ألا وهو معرض لاجني Lagny - من

(١) القوائم من إعداد الباحثة.

م	الأسواق والمعارض	السلع الرئيسية بها واتجاهاتها
		الجلود مدبوغة وغير مدبوغة وكان منها الجلد القرطبي Cordovean الذي يأتي من برشلونة.
٢	أسواق الفلاندرز Flandres "الفلمنكية"	تخصصت أسواق الفلاندرز "الفلمنكية" في صناعة الأقمشة الصوفية والتي تفوقت فيها بصورة كبيرة. حتى أصبح لها مراكز إنتاج ضخمة جاء على رأسها : غنت Ghent وآراس Arras والقديس أومير St.Omer. **مراكز توزيع أقمشة الفلاندرز الصوفية :** وصلت أقمشة الفلاندرز إلى جميع أنحاء فرنسا، بما فيها أسواق شامبني الشهيرة فلم يكن الركب التجاري ينقطع بين أسواق شامبني والفلاندرز. إلى جانب وصولها إلى انجلترا، وكافة أنحاء أوروبا كذلك، بل إنها وصلت إلى الشرق. **بعض أنواع المنتجات الواردة إليها :** نظرا لأن فرنسا كانت غنية بإنتاج النبيذ خاصة إنتاج مزارع العنب الكبيرة تلك المناطق التي تنتج للتصدير لذا فقد تم تصديره إلى نورماندیا وانجلترا والفلاندرز، بل إنه تم شراء الأقمشة الفلمنكية بمبيعات النبيذ الفرنسي. كما ورد إليها جميع منتجات الشرق حيث حملها إليها التجار الإيطاليون وأخذوا بدلا منها الأقمشة.
٣	الأسواق اللومباردية	تخصصت الأسواق اللومباردية في صناعة الأقمشة بكل أنواعها، خاصة الأقمشة المصبوغة التي برعت فيها منذ القرن الثاني عشر الميلادي. قد وجدت بها العديد من المراكز المتخصصة في هذه الصناعة كميلان والبندقية.

م	الأسواق والمعارض	السلع الرئيسية بها واتجاهاتها
		إلى جانب اشتهار تلك الأسواق بصناعة الحرائر والزجاج وشغل المعادن والتي برعت فيها البندقية إضافة إلى قيامها بصناعة الخشب والصياغة والصهر وطرق الذهب وصباغة الأقمشة وتحضير الجلود والفراء وصناعة الأغذية. كما تميزت ميلان بوفرة منتجاتها من السلع الزراعية كالقمح وحب الجاودار وحب الدخن، ونظرا لزيادتها فقد صدرتها لما وراء الألب. كما امتازت بغناها بالفواكه كالكريز الحلو والحامض والخوخ والبرقوق والكمثرى والتفاح والتوت والتين والعنب. **بعض أنواع المنتجات الواردة إليها :** تمتعت الأسواق اللومباردية بغناها بالمنتجات القادمة إليها من الشمال كالخيول والعبيد والقماش الصوفي والكتان والقنب والقصدير والسيوف، حيث حمل الشماليون سلعهم إليها ليعودوا بمنتجات إيطاليا المتميزة. إلى جانب غناها بمنتجات الشرق بكافة أنواعها إذ كان الإيطاليون هم أصحاب نصيب الأسد في هذه التجارة لذا فقد كانت أسواقهم تعج بتلك السلع والتي حملوها من أسواقهم إلى جميع أسواق أوروبا.

ملحق رقم (٢)

جداول لنشأة الأسواق وأسماء الملوك الذين أنشأوها وسنوات إنشائها[١]

الأسواق والمعارض	أسماء الأباطرة والملوك	سنوات إنشائها
١- سوق القديس دنيس St. Denis	أنشأه الملك داجوبرت Dagobert	عام ٨هـ/٦٢٩م
٢- سوق لورش Lursch الواقع في منطقة بنشيم Bensheim	أنشأه الملك إدجار Edgar	عام ٣٤٥هـ/٩٥٦م
٣- سوق بريمن Bremen	أنشأه الإمبراطور أوتو Otto	عام ٣٥٦هـ/٩٦٦م
٤- سوق أوبسالا Upsala	أحد المعارض والأسواق الاسكندنافية	عام ٣٨٨هـ/٩٩٨م
٥- معرض Donauworth الواقع في منطقة Ries	أنشأه الإمبراطور كونراد Conrad	عام ٤٢١هـ/١٠٣٠م
٦- معرضي آكس لاشابيل Aix la Chapelle (آخن Aachen)	أنشأهما الإمبراطور فردريك بربروسا Frederick Barbarossa لتجار الفلاندرز القادمين برا بناء على التماس فيليب كونت الفلاندرز	عام ٥٦٢هـ/١١٦٦م يبدأ الأول يوم الأحد من الصوم الكبير ويستمر لمدة خمسة عشر يوما الثاني: يبدأ أعماله قبل ثمانية أيام من عيد القديس ميخائيل St.Michael ويستمر لمدة ثمانية أيام بعد هذا العيد
٧- معرضي دويزبرج Duisburg	أنشأهما الإمبراطور فردريك لتجار الفلاندرز القادمين بحرا إلى دويزبرج Duisburg	عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م يبدأ أحد المعرضين في عيد القديس بارثليميو Brtholomew ويستمر

---

(١) الجداول من إعداد الباحثة.

الأسواق والمعارض	أسماء الأباطرة والملوك	سنوات إنشائها
		أربعة عشر يوما. المعرض الثاني يبدأ في الأحد من منتصف الصوم الكبير ويستمر طوال فترة الصوم
٨- معارض وأسواق شامبني Champagne وهي ست معارض سنوية اثنان في تروي Troyes واثنان في بروفانس Provence وواحد في لاجني Lagny والأخير في بار – سير – أوب Bar – Sur - Aubi	هناك أنشودة شعبية فرنسية نسبت إنشاء معارض شامبني لشارل الأصلع Charles the Bald (٢٢٩-٢٦٤هـ/٨٤٣ - ٨٧٧م) إلا أنه أمر غير مؤكد وهناك سلسلة من الوثائق والمستندات الموثوق في صحتها أثبتت أن معارض شامبني كانت موجودة ومزدهرة في مطلع القرن الثاني عشر الميلادي	التاريخ الحقيقي لظهور معارض شامبني غامض وغير محدد ولكن ربما تكون هذه المعارض قديمة قدم التجارة في أوروبا. وكان نظام انعقادها كالتالي: أولا : سوق لاجني Lagny on the marne في يناير ثم في يوم الثلاثاء قبل عيد الصوم الكبير في مايو سوق بروفانس الذي يعرف بسوق سان كويرياس Saint Quiriace في يونيو سوق ورم Fair Warm في مدينة تروي Troyes في سبتمبر السوق الثاني لبروفانس أو سوق سانت أيول Saint Auoul ، وأخيرا في أكتوبر لإكمال دورة السوق البارد Cold Fair في تروي

ملحق رقم (٣)

منحة لإقامة معرضين في مدينة إكس لا شابل[١]

بسم الثالوث المقدس الذي لا ينفصم. أن فردريك ببركة الله إمبراطور وأغسطس الرومان.

منذ أن تفوق القصر الملكي في إكس لاشابل على جميع الولايات والمدن في الشرف والكرامة وكان ذلك من المجد الذي ناله من جسد الإمبراطور المبجل شارلمان والذي تحتضنه هذه المدينة وحدها، كما أن بها العرش الملكي الذي توج فيه من البداية الأباطرة الرومان.

إنه من المناسب والمعقول أن نسير على نهج السيد التقي شارلمان وغيره من أسلافنا، فعلينا أن نقوم بتحصين هذا المكان الذي يعتبر دعامة وأساس لدعم الإمبراطورية بالهبات السخية من الحرية، والامتيازات إلى جانب الأسوار والأبراج.

لذلك فقد قررنا أن يعقد كل عام معرضين "سوقين" دوليين ورسميين في مدن إكس لا شابل، وقد نفذنا ذلك بناء على رغبات التجار.

وزيادة على ذلك فإننا سنحافظ على حقوق المدن المجاورة، فلن تسبب هذه المعارض أي عوائق لمعارضهم، ولكن ربما تؤدي إلى زيادة أرباحهم.

لذلك وبتوجيه من نبلائنا منحنا هذه الحرية لجميع التجار بإعفائهم من جميع الرسوم طوال العام في معارض هذا المركز الملكي وسيسمح لهم ببيع وشراء البضائع بكل حرية وفق إرادتهم، وذلك احتراما لسيدنا المبجل الإمبراطور شارلمان.

لن يسمح بإحالة أي تاجر إلى المحكمة من قبل تاجر آخر أو أي شخص طلبا لسداد ما عليه من ديون طوال فترة المعارض، أو أن يحول إلى المحكمة لأي عمل اقترفه قبل بداية المعرض.

لكن إذا حدث خلال فترة المعرض فوضى، فإنه يجب عرض الأمر على المحكمة

([1]) Mendier, j. Die Aachener Munzen, (W.Pormetter, Berlin, 1913), A.D. 1166, P. 58.

آنذاك، وزيادة على ذلك يجب أن يبدأ المعرض الأول في يوم الأحد في الصوم الكبير، والذي يكون قبل ستة أسابيع من عيد الفصح الذي ينتهي بعد خمسة عشر يوما.

أما المعرض التالي الذي يبدأ قبل ثمانية أيام من عيد القديس ميخائيل ويستمر لمدة ثمانية أيام بعد العيد، ولابد أن يشمل السلام جميع القادمين والمقيمين والمغادرين للسوق في أنفسهم وبضائعهم.

وخوفا من تغير قيمة العملة والتى تكون أحيانا مرتفعة وأحيانا هابطة، مما يؤدي إلى أضرار تمس سمعة المكان المرموقة وتضربه في أي وقت مستقبلا.

وبناء على توجيهات محكمتنا، فقد أمرنا أن تسك النقود هناك بنفس درجة النقاء والوزن وبنفس الكمية والمعيار. فيسك الأربع وعشرون صولدي من المارك، والتي تساوي قيمتها إثنا عشر صولدي من كولونيا، وبذلك فإن الإثنى عشر صولدي كولوني يجب أن يساوي أربع وعشرون من هذه الصولدات وهكذا فإن الأربع وعشرين تسك دائما من الإثنى عشر صولدي من كولونيا.

أما عن شكل العملات فسيكون أحد وجهها صورة القديس شارل العظيم وحروف إسمه، وعلى الوجه الآخر صورتنا وحروف إسمنا.

وإذا كانت هناك أخطاء شائعة وموجودة من فترة طويلة في محاكم إكس لاشابل، فعلى من يرتكب أي فعل من ذلك – فلا يكتفى – بأن يقدم تعويضا عن جرمه إلا أن يهرب فورا من البلاد لأنه هو الذي يعرض نفسه للعقوبة الكاملة عما اقترفه من أعمال.

لذلك فإننا ندين هذه القوانين الجائرة دائما، ونعلن بأن أي شخص يقدم إلى مدينتنا إكس لاشابل، ويتقدم بشكوى لأي سبب من الأسباب أو يطالب بتعويض عن أشياء بسيطة يتمكن من حملها، بينما يقف قائما دون أن يخلي نفسه لبعض الأشياء مثل العباءة والسترة والقبعة والقميص أو أي نوع من الملابس.

وبما أن هناك قوانين جائرة أدت إلى إلغاء الحصول على المال أو تبادله – غير أموال إكس لاشابل – فقد قررنا عكس ذلك بأن يتم التداول في جميع الأموال في مدينتنا طبقا لما تم إعلانه عن قيمتها.

وزيادة على ذلك فإننا نمنح ونعلم التجار في نفس المدينة بأنه سيتوافر لهم دار لسك العملة ومقر لتبادل أموالهم وفضتتهم في أي مكان يقرروا التوجه إليه للعمل، وكل من يجرؤ على مخالفة قرارنا أو يدفعه تهوره بانتهاكه سيخضع لعقوبتنا وسيدفع مائة جنيه ذهبا إلى محكمتنا.

وللتأكد من تنفيذ جميع قراراتها ومراعاتها بدقة أمرنا أن تكتب هذه البراءة وتختم بخاتمنا الخاص.

ملحق رقم (٤)

منحة بإنشاء معرضين في مدينة ديوسبرج Duisburg[1]

فردريك بفضل الله إمبراطور أغسطس الرومان.

ليكن معلوما لجميع المخلصين في إمبراطوريتنا أنه بناء على التماس الكونت الحبيب فيليب حاكم الفلاندرز

فقد أعلنا عن أربع أسواق لتجار الفلاندرز، إثنان منهما يقاما لتجار البر في المواعيد المحددة في إكس لاشابل وإثنان لتجار البحر في ديوسبرج.

يبدأ السوق الأول في عيد القديس بارتلميو في ديوسبرج وينتهي بعد أربعة عشر يوما.

ويبدأ الثاني في يوم الأحد منتصف الصوم الكبير وينتهي خلال فترة الصوم، ويبدأ السوق الأول في إكس لاشابل في يوم الأحد من الصوم وينتهي بعد أربعة عشرة يوما، ويبدأ الآخر من يوم عيد القديس ميخائيل وينتهي في نفس الوقت.

وعند انتهاء الإسبوعين يتمكن رجال الفلاندرز وغيرهم من التجار من البقاء بأمان لفترة أربعة عشرة يوما أخرى ويمتنعوا خلالها عن البيع لملابسهم، لكن عند نهاية المدة عليهم البيع بحرية ويدفعوا الرسوم في ديوسبرج كعادتهم في الدفع في كولونيا، وعليهم دفع الرسم بالوزن. لذلك وحتى نحقق للتجار مزيدا من المواءمة، فقد أمرنا بسك عملة جديد بقيمة بيني (دينير) Denarii ديوسبرج – نصف البيني oboles في إكس وهي "المارك" تساوي بيني واحد من عملة كولونيا، وقد أمر كونت الفلاندرز بأن يتم اعتماد هذه النقود في جميع أرجاء بلاده.

وإذا قام تاجر من التجار سواء من الفلاندرز أو من الأجانب برهن بضاعته لأي شخص، فلابد أن يتم ذلك في وجود القاضي ومعاونيه، الذين يمكنهم إثبات ذلك فيما بعد وبشهادة القاضي ومعاونيه يتمكن التجار من استلام بضائعهم المرهونة، ولكن إذا

([1])Menadier, J., Die Aachener Munzen, (W. Pormetter, Berlin, 1913,). A.D. 1173, P. 60.

لم يحصل على شهادة القاضي ومعاونيه على البضائع المرهونة، فعلى الشخص الذي تطلب منه البضائع أن يبرئ نفسه بالقسم على أنه ليس مدينا.

إذا لم يتمكن التاجر من أي بلد من البلدان من استعادة بضائعه المرهونة بشهادة القاضي ومساعديه في نفس المكان الذي يقيم فيه المدين، عندئذ يرسله المدين إلى القاضي والمساعدين الذين كانوا متواجدين في عملية الرهن، وفي وجودهم سوف يتمكن من إثبات اتهام المدين.

إذا لم يتمكن التاجر من الحصول على الحكم العادل الذي يريده، فمن الممكن أن يسحب الرهن من تجار المكان الذي ضاع فيه العدل حتى يتم تحقيقه.

دعهم لا يتحرشون بتجار المناطق الأخرى لهذا السبب، فإذا قام أي شخص بتتبع التاجر من منطقة كبرى إلى أخرى صغرى مدعيا قيامه بأعمال ضارة، وأراد أن يتقدم بشكوى عن ذلك، فلابد أن تجعلوه يعود مع هذا التاجر إلى نفس المكان الذي قام فيه بهذا العمل المخالف، ويمكنوه من الحصول على حقه أمام القاضي، ولكن قبل أن يعود فعليكم أن تلزموا من يطالب بحقه أن يتعهد للتاجر بأنه لن يقاضيه في منطقة أخرى أعلى، أما إذا لم يرغب في مصاحبته وسيتخلى عن هذا التاجر، فيجب أن يقدم تسوية طبقا للعهد الذي بينهما.

لكن إذا لم يف بالعهد، فلا يقوم بمضايقة التاجر، وإنما يتركه يرحل في سلام.

إذا شعر أي تاجر بوقوع ضرر عليه مخالفا للعدالة، فقد سمحنا له بأن يستأنف من المحكمة الصغرى إلى الكبرى والتي تعتمد الصغرى على أحكامها.

لا تتركوا أحدا يضايق التاجر الفلمنكي حتى يصل إلى حد الثورة، لكن إذا كانت هناك اتهامات من أحد ضده فعليه أن يذكرها ويقسم على ذلك.

لجميع التجار الحق في عبور نهر الراين مكفولين بحمايتنا في أشخاصهم، وبضائعهم وكذلك في جميع الأنهار في المناطق الأخرى من إمبراطوريتنا.

وإذا حاول أحد استخدام القوة ضدهم، أو تعرض لهم بأذى فسوف نحرمه من فضلنا إلى الأبد.

لذلك لابد أن تكون هذه الأحكام آمنة ومصانة،وقد أمرنا بختمها مع ختم الكونت

فيليب حاكم الفلاندرز ليضاف إلى هذه البراءة.

تم ذلك في عام ١١٧٣ من تجسد سيدنا المسيح، وذلك في مدينة فولدا في الثامن والعشرين من مايو، آمين.

ملحق رقم (٥)

A. Charter for the Town of St. Omer

I, William, by the grace of God, Count of Flanders, * not wishing to reject the petition of the citizens of St. Omer- especially as they have willingly received my petition about the consulate of Flanders, and because they have always been honest and faithful to me – grant them the laws written below, and command that those laws remain inviolate.

I. First that to every man I will show peace, and I will protect and defend them with good will just as I do my other men. And I grant that justice be done to all of them by my bailiffs, and I wish that they do justice to me also. I grant liberty to my bailiffs such as my other bailiffs have.

2. If any citizen of St. Omer lend money to any one, and the borrower freely acknowledge this in the presence of lawful men of that town and of his heirs, if the debt be unpaid on the agreed date, he or his goods may be detained until all be paid. If he be unwilling to pay, or deny the agreement, he shall be detained until he pay the debt if he be convicted on the testimony of two bailiffs or two sworn men.

5. All those who have their gild and belong to it, and who reside within the limits of the town, I make free of toll at the port of Dixmude and at the port of Gravelines; and throughout all the land of Flanders I make them free of *sewerp*. I grant them the toll which the people of Arras pay at Bapaume.

6. If it should happen that at any time I should acquire land outside of Flanders, or if a treaty of peace be made between me and my uncle, Henry, King of the English, I will cause them to be made free of all toll in the land acquired, or in the whole land of England, or I will make them free of all customs by the terms of such treaty.

9. All who dwell within the walls of St. Omer, or who dwell there in the future, I make free from cavagium, i.e. from head tax, and from suit of court.

II. Moreover they have asked the king of France and Ralph of Peronne that wherever they may be free of toll, transit dues, an passage; I wish this to be granted to them.

13. As I wish the citizens of Flanders to be free henceforward from all customs, I shall require from them no scot, or faille, or forced loan.

14. The thirty pounds a year I had from St. Omer and whatever I ought to have from there , I grant for the restoration of their damaged property damaged property, and for the maintenance of their gild. The burgesses shall see to it that there is good and stable coinage during my life whereby the town may be improved.

15. Since the guards who nightly watch the castle of St. Omer have had a free decreed from of old to be in aotas, cheeses, and goatskins, and since they have been accustomed to take bread and one or two denarii from every house unjustly on the feasts of St. Omer and St. Bertin and at the Nativity, or to take guarantees from the poor for these things, we decree that they shall not dare in the future to take anything above their stipend.

16. Whoever comes to Nieuport from any place shall have permission to come to St. Omer with his goods in whatever ship he pleases.

17. If I make peace with Stephen, Count of Boulogne, I shall make them free of toll and sewers throughout all his lands and at Wissant.

18. I grant for their use the pasture in the wood near St. Omer, which is called Lo, and the marshes, meadows, meadows, whines and fallow lands, except the land of the lepers, just as it was in the time of Count Robert the Bearded.

19. I make free from all toll the houses which are in the care of the advocate of the Abbey of St. Bertin, namely, those which are inhabited. Each gives twelve denarii at the feast of St. Michael, twelve denarii as brotban, and twelve denarii as byrban. Those which are empty pay nothing.

25. The following have promised that this agreement shall be observed by all, and they have sealed their promise with an oath: Louis, King of the French; William, Count of Flanders; Ralph of Peronne, etc.

Additions and changes made in the preceding charter by Count Thierry of Alsace – A.D. 1128.

I. The money which the burgesses of St. Omer had they have paid to the count so that he may treat them well and administer their laws for them well and freely. Moreover, they thereby set an example to other Flemings to pay promptly.

2. In place of a toll on the city they give a hundred solidi annually as a perpetual tax.

براءة لمدينة القديس أومير St. Omer[1]

أنا وليام William بفضل الله كونت الفلاندرز.

إني لا أرغب في رفض الالتماس المقدم من مواطني القديس أومير St.Omer خاصة وأنهم تلقوا بإرادتهم الالتماس الذي قدمته بخصوص قنصلية الفلاندرز، ولأنهم دائما أمناء وصادقين معي، لذلك أمنحهم القوانين الآتية، راجيا ألا تنتهك.

أولا: السلام للجميع، وأقوم بحمايتهم والدفاع عنهم بنية صادقة، مثلما أفعل مع غيرهم، وأمنح هذه القرارات ليطبقها موظفو المحاكم على الجميع وأتمنى أن يحققوا العدالة بالنسبة لي أيضا، كما أمنح الحرية لأتباعي مثل التي منحتها لغيرهم من الأتباع.

٢- إذا قام أي مواطن من مواطني منطقة القديس أومير بإقراض مال لشخص واعترف المقترض طواعية بذلك في حضور رجال القانون في البلدة وورثته، فإذا لم يدفع الدين الذي عليه، فيتم حجزه أو حجز بضاعته حتى يدفع الدين كاملا، أما إذا لم يكن راغبا في الدفع أو ينكر الاتفاق سيتم حبسه حتى يدفع الدين، إذا كان مدانا بشهادة المساعدين الآخرين أو بقسم لإثنين من الرجال.

٥- كل من لهم نقابة وينتمون إليها، والمقيمون في حدود المدينة فسأقوم بإعفائهم من الرسوم عند ميناء ديكسميود Dixmude وميناء جريفيلين Graveline وعبر كل أراضي الفلاندرز، وسأحررهم من الاحتكارات "Sewerp" وسأمنحهم الرسوم التي يدفعها سكان مدينة آراس Arras في بابيوم Bapaume.

٦- إذا توجه أحد منهم إلى بلاد الإمبراطور للتجارة، فلن يجبره أحد من بلدي على ترك النقابة التابع لها.

٧- إذا حصلت في أي وقت على أرض خارج الفلاندرز أو إذا تمت أي معاهدة سلام بيني وبين عمي هنري ملك إنجلترا، فسأقوم بإعفاء المناطق التي حصلت عليها

([1]) Kemble, J.M. The Saxons in England, Vol II, Bernard, Quaritch, London, 1876, A.D. 1197, Appendix, P. 528.

من الرسوم، وفي كل أراضي إنجلترا، أو إعفائهم من الجمارك بنصوص المعاهدة.

٨- كل المقيمين داخل أسوار مدينة القديس أومير، أو من سيسكنوها مستقبلا فسأقوم بإعفائهم من الضرائب مثل ضريبة الرأس، وشكاوى المحاكم.

١١- علاوة على ذلك فقد طلبوا من ملك فرنسا، ورالف Ralph حاكم بيروني Peronne أن يتم إعفاؤهم من الرسوم في أي مكان يتوجهون إليه في أراضيهما إلى جانب رسوم العبور، وإنني أتمنى أن يتم منحهم وإجابتهم على ذلك.

١٣- كما أود أن يعفى مواطنوا الفلاندرز من الجمارك، ولن أطلب منهم شيئا من رسوم التبعية Scot أو ضرائب الملكية Taille أو القروض الاضطرارية.

١٤- الثلاثون جنيه السنوية التي أحصلها من مدينة القديس أومير أو أي مكان أقوم بالتحصيل منه، فقد منحت ذلك من أجل استعادة الممتلكات المهدمة، وصيانة نقاباتهم، وسوف يتأكد ممثل المدينة أن هناك نظاما نقديا مستقرا وجيدا طوال حياتي، وهذا النظام تتحسن به أحوال المدينة.

١٥- حيث إن الحراس والمراقبين ليلا لقلعة القديس أومير لهم أتعاب مقررة من الماضي من الشوفان والجبن وجلود الماعز، حيث اعتادوا أن يأخذوا الخبز ويحصلوا واحدا أو إثنين من الدينير Denerii "البيني" من كل بيت بطريقة غير قانونية في أعياد القديس أومير St.Omer والقديس بيرتين St.Bertin وفي عيد ميلاد المسيح Nativity أو يأخذوا ضمانات من الفقراء لذلك فإننا نقرر أنهم لن يجرؤا في المستقبل على أخذ شئ اعتادوا عليه من قبل غير المقرر لهم.

١٦- يسمح لأي شخص يقدم إلى ميناء نيوبورت Nieu Port من أي مكان الدخول إلى منطقة القديس أومير ببضاعته على أي سفينة يشاء.

١٨- لقد منحت لهم المراعي ليستخدموها في الاحتطاب، وذلك بالقرب من مدينة القديس أومير التي تسمى لو Lo والمراعي والمروج والأراضي المحيطة ماعدا ليبرس Lepers مثلما كانت في زمن الكونت روبرت الملتحي.

١٩- يتم إعفاء المنازل الواقعة تحت رعاية رئيس دير القديس برلين St.Berlin من جميع الرسوم وبالتحديد المسكونة منها، ويدفع كل منها إثنتى عشر دينير في عيد

القديس ميخائيل، وإثنى عشر دينير لرسوم الخبز، وإثنتى عشر دينيير لرسوم الجعة، والمناطق الخالية لا تدفع شيئا.

٢٥- الفقرات التالية "وعدت بأن هذه الاتفاقية سيلتزم بها الجميع حيث قدموا وعودهم بقسم لويس ملك فرنسا ووليم كونت الفلاندرز ورالف حاكم بيروني إلى آخره.

إضافات وتغيرات في الوثيقة السابقة، تمت من قبل الكونت ثيري حاكم الإلزاس Thierry of Alsace سنة ١١٢٨م.

١- الأموال التي دفعها مواطنوا القديس أومير للكونت حتى يعاملهم معاملة طيبة، ويطبق قوانينهم بدقة وحرية، وزيادة على ذلك فهم يقدمون مثلا حيا للفلمنكيين ليقوموا بالدفع فورا.

٢- حددت هناك الرسوم على المدينة بحيث يدفعوا مائة صولدي سنويا كضريبة فعلية.

ملحق رقم (٦)

Charter of Bruges

This is the law and custom which the burgesses of Bruges ought to have, an which ha been drawn up by Count Philip. C.18 . If the bailiffs, with the assent of the court of the count, decree a toll on bread and wine and other merchandise for the improvement of the town, half the money which comes from the toll shall go to the count, and the other half to the castellan and the town.

C19. If a merchant or other foreigner should come before the bailiffs for justice, and if those about whom the complaint is made are present or are able to come within three days, or at least within eight days, the bailiffs shall do full justice to him according to the law of the town.

C20 . No one is allowed to put stalls in the market place of the count; but if he does so and is convicted on the word of the bailiffs, he shall give sixty solidi to the count.

براءة مدينة بروج Bruges[1]

للحصول على الحرية

هذا هو القانون والعرف الذي يجب أن يتبعه مواطنو بروج والذي قام بصياغته الكونت فيليب Phillip.

١٨س. إذا قرر موظفوا المحاكم ومساعدوهم في محكمة الكونت ضريبة على الخبز والخمر وغيرهما من البضائع الأخرى لتحسين أحوال المدينة، فإن نصف المتحصل من هذه الضريبة سيكون من نصيب الكونت والنصف الآخر للقسطلان مشرف القلعة وللمدينة.

١٩س. إذا حضر تاجر أو أي أجنبي أمام موظفي المحكمة طلبا لحقوقه، وإذا كان أولئك المشكو في حقهم موجودون أو قادرون على الحضور خلال ثلاثة أيام أو على الأقل خلال ثمانية أيام، فإن موظفي المحكمة سيعطونه حقه وذلك طبقا لقانون المدينة.

٢٠س. غير مسموح لأي شخص بإقامة أكشاك لبيع السلع في مكان السوق الخاص بالكونت، لكنه إذا قام بذلك أو أدين برأي موظفي المحكمة، فإن عليه أن يدفع للكونت ستين صولدي.

([1]) Kemble, J.M. The Saxons in England, Vol, II, Bernard, Quaritch, London, 1876, About A.D. 1190, Appendix, P. 533.

ملحق رقم (٧)

[Siena] , July 5, l260

In the name of the Lord, amen, Reply to the letters from France [brought] by the first messenger of the May fair of Provins, year l260.

[Dear] Giacomo di Guido Cacciaconti:

Giacomoand Giovannidi [Gregorio, Vincentedi Aldobrandino Vincenti?, and the other partners send you greetings. And we are informing you that we have safely received the letters which you sent us by the messenger of the gild merchant from the May fair of Provins of this year. And through these letters we perfectly understand what were your instructions, and we shall get busy on what will be our business here. Therefore we beg you to be on the alert and to make it your concern to work and get busy on what on what you have to do. And especially we beg you to be careful in investing and in lending what you have in your hands and what you have in your hands and what you will have in the future to good and reliable payers, so that we can have it back at any time we may need it or we may want it back. And to do this we ask from God our Lord mercy, that He grant you the grace to do it so that honor may come to you personally and that the partnership (compagina) may come out in good standing, Amen.

You ougher to now, Giacomo, that we shall write accurately [all] that we have to write, and especially what you will instruct us by your letters, such as your receipts (auti), your payments (renduti) and the loans you will make. Just as you will instruct us by your letters at each fair shall we write and enter it in our book. The receipts we shall post to your receipts, the payments we shall post to your payments, and the loans we shall write to the loans, just as we have always done up to the present time. Therefore, any money which you collect or which comes into your hands, when you have instructed us once by letter about it, do not repeat it any more; for as soon as you have instructed us about it, we post it at once – whatever you tell us are receipts among the receipts, and we post the payments to the payments, and the loans to the loans. And we do so for every letter. Therefore, if you should instruct us through more than one letter, you see that it would not be a good thing to do; for just as many times as you instruct us, so many times we shall post it in the book in our

customary way. Therefore do take care . And we mention this in connection with the £3 Provisine, which Testa Tebaldi takes and Tederigo Lei gives. For you received out of them 34 soldi less 4 deniers, and you have sent me instructions about this through several letters. For if we had not remembered that we had posted them once to your receipts, swe certainly would have posted them a second time. Therefore take care-do not instruct us about it more than once.

And just as we instructed you in the other letter, so we repeat in this that you must not be astonished that we have sold and are selling Provisines; for you ought to know, Giacomo, that we are under great expense and extremely busy because of the war we are having against Florence. And you ought to know that we have to have money to spend and to make war; on account of this, we see that we cannot raise money from any source more advantageous for us than by selling Provisines. And should you say that we ought to obtain a loan here, it would do us no good: for you ought to know that money costs from 5 to 6 deniers a pound from one merchant to another , and it costs those who are not merchants from to to 12 deniers a pound in corsa, although it is in the same state. Now you see what [the conditions of] lending are here. Therefore do not feel too badly that we are selling Provisines, since we had rather be in debt in France than be in debt here or sell sterling. For it is worth far more to us so long as we can get Provisines at the price they cost you today than it would be to sell the sterling or to borrow here; because we draw greater interest in England than we would in France, and in order to raise a loan here today we should have to pay a price greater than would be any profit that we could get in France. Therefore be satisfied with what we are doing, and do not be astonished at all about it. And you ought to know, Giacomo, that if in the country of France one could profit more than one can profit there today, we should do well, since you would have a great many Provisines, so that you would well get whatever arrangement you may wish, and we would certainly get our share of whatever profit might be made in that land; and about that be of good cheer.

And we understand from you through your letter than you have gone, both without and with Tolomeo Pelacane, to see the dean of Saint Etienne of Troyes about the business of Lyons-on-the-Rhone, and that you spoke and argued a good deal with the procurator of that archbishop of Lyons –on the-Rhone, and you could

not persuade him to come to any conclusion or agreement that was good for us; nor could you persuade him unless we sent you a letter from the papal Curia against him. In this matter you ought to know that we have had and are still having a great deal of trouble, because of the war and making expeditions and cavalry raids, so that we have not been able to devote our attention to obtaining the letter. Therefore you ought to know that as soon as we have a [Breathing] spell to devote our attention to it we shall do so, and we shall see to it that you get the said letter against them.

And we also understand from you through that letter of yours that you and Tolomeo Pelacane had been to see Bonico Maniardi and had told him that you wanted to go to Lyons to learn if you could get any agreement at all from that person, and the said Bonico answered that you could go all right but that he would not pay one bit of the expenses unless Mino Pieri instructed him to do so; for he told you that Mino had not sent a word of instruction about the matter. This astonishes us, for we were in agreement about It here with Mino Pieri, and Mino told us he would instruct him to pay us whatever was his share of our expenses. And in this letter we cannot tell you anything further about it, because Mino Pieri is with the army at Montepulciano while we are wrings this letter. Through other letters we shall get in touch with him; and if he has not instructed [tolomeo] about it, we certainly shall tell him to instruct him, and we shall communicate to you what he will answer us.

And we also understand from you through a note of yours that we are expected to beg Orlando Bonsignore that he should instruct his partners over there that whenever you wish to borrow from his partners they should consent to it, for that would be a great boon to us. In this regard we tell you that the said Orlando Bonsignore was not in Siena when this letter was written, but he was with the army at Montepulciano. Therefore, when he returns, we shall get in touch with him and remaind him about it; and we definitely believe that he ill do what we wish about it.

You ought to know, Giacomo, that I, Vincente, will give 70 [sic] to Madonna Pacina, just as you have instructed me. And Niccolo, son of Messer Nicola, wants us to beg you for his love that if you have not sold for him his Kirkoswald [?] biffa, you get it sold. He would have instructed you about this in a letter if he had not been with the army at Montepulciano; for he went there before the letters

were written, and he begged me, Vincente, that I should write you about it in this letter.

And also we let you know that we have we have sold £ 106 Provisine to Giacomo Ubertini, changer, to be paid at the fair of Saint John, year [12] 60; and we sold them at the rate of s.33 a dozen, and we have been paid. Therefore you shall pay them at his order to Rimbotto Buonaiuti at the latter's pleasure; and when you make the payents to him, have a record (scritta) made of it in the book of the Officials of the Merchants, as is customary to do.

And also we have sold £ 24 Provisine to accorso Guarguaglia and his partnership, to be paid at the said fair of Saint John, at the rate of 3r a dozen, and we have been paid. Therefore you shall pay them to Gregorio Rigoli at his pleasure at the fair; and when you pay them, have a record made of it in the book of the Officials of the Merchants, as is customary to do.

On there other hand, we want to let you know about the developments in Tuscany. For you ought to know, Giacomo, that we are today under great expense and extremely busy because of the war we are having against Florence. And you ought to know that it will take plenty out of our pocket; but we shall lick Florence so [badly] that we shall never have to guard ourselves from her any more, if God protects from evil the lord King Manfred, to whom may God grant long life, amen...

You ought to know, Giacomo, that after this letter was written up to this point we had news that Montepulciano had come to terms and had pledged loyalty to the lord king-King – Manfred – and to Siena. And she will make expeditions and cavalry raids against whomever we wish, will hold our friends as friends, and our enemies as enemies. And when that was done, lord Count Giordano left Montepulciano with all the expedition he had and went against Arezzo; and we believe that he will have the town at his will. Well, things up to now have been like this; for the future they will be the same and better, if it please God.

Dispatched Monday, the fifth day of July.

[Address on the outside]

To giacomo di Guido Cacciaconti, and let it not be given to anyone else.

التقارير الواردة من أسواق شامبني Champagne[1]

١- سينا Siena في ٥ يوليو ١٢٦٠م.

باسم الرب آمين.

ردا على خطابات من فرنسا أحضرها الرسول الأول من سوق ماي May في بروفانس Provins عام ١٢٦٠.

عزيزي.جياكومو دي جويدو كاشيكونتي

Giacomo di Guido Caccia conti

جياكومو، جيوفاندي، وألدوبراندينو، فينسينتيدي، جريجوريو، فينكنتي وبقية الشركاء يبعثون إليك بتحياتهم، ونعلمك بأننا تلقينا رسائلك التي أرسلت إلينا من قبل رسول نقابة التجار من سوق May في بروفانس هذا العام.

وقد فهمنا من هذه الخطابات تعليماتك تماما وسوف نهتم بمهامنا التجارية التي سنقوم بها هنا، لذلك نرجوك على وجه الخصوص أن تنتبه وأن يكون كل تركيزك أن تعمل وتقوم بما عليك ونرجوك بشكل خاص أن تكون حذرا في الاستثمار والإقراض مما يتوافر معك وماسيكون لديك في المستقبل للدافعين الصادقين الجادين حتى تتمكن من استردادها منهم في أي وقت تحتاج فيه أو نريده منهم، ولكي تقوم بذلك فإننا نطلب من الله ربنا الرحمة لأنه منحك الفضل أن تقوم بذلك مما سيحقق لك شرفا شخصيا حتى يحل الخير على شراكتنا – آمين.

ونود أن نحيطكم علما ياجايكومو بأننا سنكتب بكل دقة كل ما يجب علينا كتابته وما أخبرتنا به في خطاباتك مثل الإيصالات والمدفوعات والقروض التي ستقوم بها والتي ستخطرنا بها وسنسجل ذلك في الدفاتر في كل معرض من المعارض، فستكون الإيصالات مع الإيصالات والمدفوعات مع المدفوعات والقروض مع القروض مثلما نعمل حتى وقتنا الحالي.

لذلك عندما تتجمع الأموال لديك نرجو أن تخبرنا بها مرة واحدة في خطاب ولا

([1]) Lopez, R. & Raymond, I. Medieval Trade, N.Y, 1955, P.P. 388 - 392.

تكرر ذلك مرة أخرى، إذ أنه بمجرد إعلامنا نقوم بتسجيله في الحال، فكل ما تذكره لنا يسجل فيه الإيصالات مع الإيصالات والمدفوعات مع المدفوعات والقروض مع القروض، لذلك فإن أخبرتنا بالموضوع في أكثر من خطاب فهذا شئ مرفوض لأننا سنسجل في الدفاتر بقدر عدد المرات التي ترسل فيها بطريقتنا المعتادة، لذلك انتبه نحن نذكر ذلك بالنسبة للثلاث بروفيزينا Provisine "عملة" التي تسلمها تيستا بالدي Testat paldi وأعطاها لتيدرجولي Tederigo .

أما بالنسبة لك فقد تسلمت أربع وثلاثين صولدي أقل من أربعة دينير، وقد أعلمتنا بذلك في عدة خطابات لأنك لو لم تتذكر أنك أرسلتها إلينا يمكننا أن نرسلها إليك مرة أخرى، لذلك انتبه لا تخطرنا بشئ أكثر من مرة واحدة.

وكما أخبرناك في رسالة سابقة، نكرر هنا أنه يجب ألا تندهش أننا نبيع ونشتري عملة البروفيزنا حيث يجب أن تعلم ياجياكومو أن لدينا مصاريف ونفقات كبيرة، ومشغولين جدا بسبب الحرب الناشبة بيننا وبين فلورنسا، ولابد أن تعلم أنه لابد أن يكون لدينا مال للإنفاق وللحرب، لذلك فإننا نرى أنه لا يمكننا جمع المال من أي مصدر أكثر تميزا من بيع البروفيزنا، وقد تقول إنه يجب أن نحصل على قرض هنا، لكن ذلك لن يفيدنا حيث يجب أن تعلم أن تكاليف المال من خمسة إلى ستة دينيير جنيه من تاجر إلى آخر ويكلف من عشرة إلى إثنى عشرة دينيير لغير التجار عن طريق المسابقة Corsa رغم أننا في نفس المدينة.

أنت الآن تعلم الظروف بالنسبة للإقراض هنا، لذلك لا تتضايق لأننا نبيع البروفيزنا ، إذ أننا نفضل أن نكون مدينين في فرنسا عن أن نكون مدينين هنا أو أن نبيع الاسترليني Sterling لأنه أفضل لنا كثيرا طالما نستطيع الحصول على البروفيزنا بسعر التكلفة اليوم وأفضل من أن نبيع الاسترليني أو الاقتراض هنا لأننا نحصل على فوائد كبيرة من إنجلترا بالنسبة لما نحصله في فرنسا، ومن أجل زيادة قيمة القرض هنا، علينا أن ندفع سعرا أكبر كثيرا مما سنحصله من ربح في فرنسا.

لذلك يجب أن تكون مقتنعا بما نفعله، ولا تندهش منه، وعليك أن تعلم جياكومو أنه إذا استطاع الفرد في فرنسا أن يحصل على أرباح أكثر من الأرباح التي يحققها آخر هناك اليوم.

يجب علينا أن نقوم بعملنا بإخلاص ما دام لدينا كمية كبيرة من البروفيزنا ، مما يسهل لك الحصول على الترتيبات التي تريدها وسنحصل بكل تأكيد على نصيبنا من كل الأرباح التي تتحقق هنا، لذلك عليك أن تطمئن وتكون في حالة نفسية طيبة.

لقد فهمت من خطابك أنك ذهبت مع تولوميو بيلاكاني Tolomeo Pelcane لرؤية رئيس دير القديس آتنيين St.Etienne في مدينة تروي Troyes بخصوص العمل في مدينة ليون الواقعة على نهر الرون، وأنك تحاورت كثيرا مع رئيس الأساقفة هناك، ولم تتمكن من إقناعه بالوصول إلى اتفاق بإنهاء المسألة أو الوصول لاتفاق يحقق مصلحة لنا، ولإقناعه إلا إذا أرسلنا خطابا لك من المقر البابوي في هذا الموضوع، ولابد أن تعلم أنه لدينا ومازال الكثير من المشاكل بسبب الحرب وإعداد الحملات، وإغارات الفرسان لذلك فإننا غير قادرين على تكريس اهتمامنا للحصول على الخطاب وعليك أن تعلم أنه وبمجرد أن نلتقط أنفاسنا سوف نسعى بكل اهتمام إلى تحقق ذلك وسنحصل على الخطاب المشار إليه والموجه ضدهم.

وقد علمنا من خطابك أنك وتولوميو بيلكانيو ذهبتم لرؤية بونيكو ماينارديي Bonico Maniardi، وذكرتم له أنكم تريدون التوجه إلى ليون وتريد أن تعرف هل من الممكن الحصول على أي ترتيبات لذلك من هذا الشخص وأن المدعو بونيكو أجاب أنه يمكنك الذهاب ولكنه لن يدفع شيئا من النفقات إلا إذا أمره بذلك مينو بيري Minopieri، وقد أخبرك أن مينو هذا لم يرسل له كلمة أو تعليمات بخصوص هذا الموضوع.

وقد اندهشنا من ذلك لأننا عقدنا اتفاقية هنا مع مينو وقد أخبرنا أنه سيعطي تعليماته بالدفع لنا مهما كان نصيبه من النفقات، وفي هذا الخطاب لا نستطيع أن نخبرك بشئ أكثر من ذلك في هذا الموضوع لأن مينو متواجد حاليا مع الجيش مونت بولكيانو Monte Pulciano أثناء تحريرنا لهذا الخطاب وإذا تمكنا سنتصل بك ونخبرك في خطابات أخرى، وإذا لم يكن قد أخبر تولوميو Tolomeo بذلك سوف نطلب منه بالتأكيد أن يخبره، وسنتصل بك بما سيجيب به علينا.

ولقد فهمنا أيضا من ملاحظتك أنه من المتوقع منا أن ترجو أورلاندو بونسيجنور

Orlando Bonsignore أن يخطر شركائه هناك أنه حينما ترغب في الحصول على قرض من شركائه، فيجب أن يوافقوا على ذلك لأن ذلك سيسهل لنا كثيرا، كما نخبرك بالنسبة لهذا الموضوع نفسه أن أورلاندو لم يكن متواجدا في مدينة سيينا Siena عند كتابة هذا الخطاب، لكنه مع الجيش في مونت بولكيانو، لذلك عندما يعود سنتصل به ونذكره بذلك، ونحن نعتقد قطعا أنه سينفذ ما نريده.

ويجب أن تعلم ياجياكومو أنني وزميلي فيكنتي Vicente سوف نمنح مادونا باكيني Madonna Pacine ستون سيكا Sic "عملة" كما أمرتني، كما أن نيقولو Nicolo ابن ميزير نيقولو Messer Nicolo يريد منا أن نرجوك – ومن أجل خاطره – أنك إذا لم تكن قد بعت له الأقمشة الخفيفة أن تبادر ببيعها " Kirkos wald" ، وسيخبرك بذلك في خطاب إن لم يكن مع الجيش في مونت بيلكانو، حيث إنه قد ذهب إلى هناك قبل كتابة الخطاب وقد رجاني أن أكتب لك عن ذلك في خطابنا هذا، ونعلمك أيضا أننا قد قمنا ببيع المائة وستة جنيه بروفيزنا إلى جياكومو أوبرتيني Giacomo Ubertini وقد تم تغييرها لتدفع في سوق القديس حنا سنة ١٢٦٠ وقد قمنا ببيعهم بمعدل الدستة بثلاث وثلاثين استرليني وتم الدفع، لذلك عليك أن تدفع لهم وبأمره إلى ريمبوتو بانايوتي Rimbotto Buonaiuti كما يرغب الأخير، وعندما يتم الدفع له، عليك تسجيل ذلك في دفاتر التجار الرسمية كما هو متبع.

وقد قمنا ببيع أربعة وعشرون جنيها بروفينزا إلى أكورسو جورجوجيليا Accorsa Guarguaglia وشركائه لتدفع في السوق السابق الذكر بنسبة واحد وثلاثين في الدستة، وقام بالسداد لنا، ولذا عليك أن تدفع لجريجوريو عند الطلب في السوق، وعندما تدفع قم بتسجيل ذلك في دفتر التجار الرسمي، كما هو معتاد.

ونريد أن نعلمك من ناحية أخرى ما يخص التطورات في تسكانيا Tuscany فلابد أن تعلم ياجيوكومو أننا نتحمل الآن نفقات باهظة ومشغولين جدا بسبب الحرب ضد فلورنسا، كما لابد أن تعلم أنها تكلفنا مصاريف باهظة، ولكننا سوف نهزم فلورنسا شر هزيمة حتى لا نكون في حاجة إلى حماية أنفسنا منها بعد ذلك، وليحفظ الرب ملكنا مانفرد Manfred من كل شر ويمنحه طول العمر – آمين.

يجب أن تعلم ياجيوكومو أنه بعد كتابة هذا الخطاب – حتى هذه النقطة وصلت إلينا أنباء أن منطقة Monte Pulcano وافقت على الشروط وتعهدت بالولاء لملكنا الملك مانفرد، ولسيينا Siena، وأنها ستقوم بحملات وإغارات للفرسان حسبما وكيفما نريد، وأنها تعتبر أعداءنا أعداءها، وأصدقاءنا أصدقاءها وعندما حدث ذلك، ترك السيد الكونت جيوردانو Giordano منطقة Monte Pulcano مع كل الحملة وتوجهوا لمهاجمة أريزو Arezzo، ونعتقد أنه سيستولى على هذه المدينة لتصبح تحت إرادته.

هذه هي الأحوال حتى الآن، وستكون أفضل في المستقبل إذا شاء الرب.

مرسل يوم الإثنين ٥ يوليو "الخامس من يوليو"

(العنوان بالخارج)

إلى جياكومو دي جويدو كاشياكونتي Giacomo di Guidocacciaconti ولا يسلم لأحد غيره.

ملحق رقم (٨)

An Agreement for Protection Between Hamburg and Lubeck

The advocate and common council of Lubeck..... We have made an agreement with our beloved friends the citizens of Hamburg.

I. That if by chance robbers or other evil men rise against our citizens or theirs, from that place where the river which is called the Trave flows into the sea to Hamburg, and thence along the Elbe to the sea, and if they assail our citizens or theirs, whatever costs or expenses are incurred for extirpating those robbers we ought to share with them, and they with us.

2. If by chance any criminal should outrageously kill, would , beat, or, God forbid, in any way ill-treat outside the city any burgess of Hamburg or Lubeck whom he has accused, whatever expense is incurred in taking him and punishing him, we shall share with them and they with us, this condition being added, that whatever happens to their citizens near their city, and to our citizens near our city, they with their citizens, and we with ours, shall punish at the expense of the city.

3. Further, if any burgesses of theirs near our city of Lueck, or our burgesses near the city of Hamburg, should be ill-treated , we shall surrender the doer or doers of the deed for punishment, and they will surrender such people to us at the expense of the commune likewise.

اتفاق الحماية بين هامبورج Hamburg وليوبك Lubeck[1]

يقول المجلس الدفاعي والعام لليوبك Lubeck... لقد عقدنا اتفاقا مع أصدقائنا مواطني مدينة هامبورج Hamburg، وينص على ما يلي:

١- إذا قام اللصوص أو أي من الرجال الأشرار بالتصدي لمواطنينا أو مواطنيهم من منبع النهر الذي يسمى Trave وحتى مصبه في البحر إلى هامبورج Hamburg ومن على طول الإلب Elbe وحتى البحر فإذا هاجموا مواطنينا أو مواطنيهم بغض النظر عن التكاليف أو النفقات التي تنفق للقضاء على هؤلاء اللصوص فإننا يجب أن نتكاتف معهم وكذلك يتكاتفوا معنا.

٢- إذا قام أي مجرم بقتل أو بجرح أو ضرب أي من المواطنين أو قام بمعاملتهم بسوء في هامبورج Hamburg أو ليوبك Lubeck فيجب أن نتكاتف معهم ويتكاتفوا معنا للقبض عليه لينال عقابه، ويضاف إلى هذا الشرط أنه لا يتم الأخذ في الإعتبار إذا كان ذلك حدث لمواطنيهم بالقرب من مدينتهم أو لمواطنينا بالقرب من مدينتنا فإننا يجب أن نوقف موقفا موحدا لأخذ القصاص ويكون ذلك على نفقة المدينة.

٣- وأخيرا إذا قام أي من موطنيهم بارتكاب ما يستحق عليه العقوبة بالقرب من ليوبك Lubeck أو قام أي من مواطنينا بارتكاب ما يستحق عليه العقوبة بالقرب من هامبورج Hamburg فيجب علينا القبض على الفاعل أو الفاعلين لهذا العمل وتسليمهم لهم لينال أو لينالوا العقوبة وعليهم أيضا أن يقبضوا على الفاعل أو الفاعلين لهذا العمل وتسليمهم لنا لينالوا العقوبة وتكون النفقة على حساب المدينة بالمثل.

([1]) Keutgen (F.), Urkunden zur Stutischen Verassungsges chichte, Berlin, 1901, A.D. 1241, P. 521.

قائمة المختصرات

1- J.E.S.H.O.	Journal of Economic and Social History of the orient.
2- J.R.A.S.	Journal of the Royal Asiatic society.
3- E.H.R.	The economic history Review.
4- B.A. J.	de Baye, Revue archéologique
5- Z.F.N.	Zeitshrift Fur Numismatik
6- M.H.	Medieval History
7- B.C.R.H.	bulletin de le Commission Royal d'histoirede
8- R.H.	Revue historique
9- M.G.H.	Monementa, Germaniae Historica

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر الأوربية :

1- Duchet (T.), Giry (A.), Cortulaires de l'eglise de Terouane, Agreement between the Bishop of Thérouanne and the count, of Flanders, 1150: (Saint – Omer, 1881).

2- Chronicon Hanoniense, ed. L. Vanderkindere, Agreement between the count of Hainault and the Bishop of Liege, 1076: Gislebert of Mons, (Brussels, 1904)

3- Anglo – Saxon Chronicle, Tranlated by the Rev. James. Ingram (Ingram, London, 1917)

4- Asher (A.), the Itinerary of Rabbi Benjamin of Tudela, Translated from the original Hebrew text. (New. York., 1840)

5- Thorp (B.), Ancient Laws and institutes of England. (London, 1840)

6- Blancard (L.), Documents Inedits sur le commerce de Marseille au Moyen Age, (Marseilles, 1884).

7- Borsiere (G.B.), Chroican Tolosani, Canonici Faventini, in documenti di storia Italiana (Fiorence, 1876).

8- Bourquelot, Etudes Surles Foires de Champagne, (Paris, 1865).

9- Capmany, A.de, memorias sobre la Marina, Comercio, y

Artes de la antigna ciudad de Barcelon, (Madrid, 1779)

10-Chronica Jocelini de Brake Londa, J. G. Rokewole Ed. (London, 1840).

١١- Duruy (V.), Histoire du moyen age dépuis la chute de L'empire d'occident Jusqu au Milieu du XV Siecle, (Paris, 1880).

12-Einhard, The Life of Charlemagne, Tenth. Ed. (Michigan, 1975).

وقام بترجمته تحت عنوان (سيرة شارلمان) الدكتور عادل زيتون.

١٣- Fagniez, Gustave, documents relatifsà. L'Histoire de l'industrie et du commerce en France,(Paris, 1898).

14-Fulbert of Chartres, Fulberti Episcopi Carnotensis Epistolae, no. XXXVIII, in M. Bauquet, Recueil des historie us des Goules etdela France, X, 1760.

15-Gengler (H.), Codex Juris Municipalis Germaniae,(Erlangen, 1867).

16-Giraldus Cambrensis, (London, 1890).

17-Gross, (C.), The Gild Merchant,(Oxford, 1890).

18-Huvelin (P.), Le droit des Marches et des Foires, (Paris, 1897).

19-Joinville, History of Saint Louis, Tran. Evans (Oxford, 1958).

قام بترجمته تحت عنوان (سيرة القديس لويس) الدكتورحسن حبشى ، القاهرة ، ١٩٦٨.

20-Kemble (J.M.), The Saxons in England, (London, 1876).

21-Keutgen, F., Urkunden zur Stadtischen V erfassungsges

Chichte, (Berlin, 1901).

22-Lappenberg (J.M.), Urkundliche Geschichte des Hansischen Stahlhofes zu London (Hamburg, 1851).

23-Matthew of Paris, English history, translated by J.A. Giles. (London, 1852).

24-Matthew of Westminster, Flowers of history, translated by C.D. Young, (London, 1853).

25-Menadier (J.) Die Aachener Münzen (Berlin, 1913).

26-M.G.H., Diplomata, Regum (I), Th. Sickel, Ed. (Hanover, 1879 – 1884).

27-M.G.H., Legum, Sectio II, Tome II, Alfredus Boretius and Victor Krause, Eds. (Hanover, 1897).

28-Patrologiae Cursus Completus Series Latina, by Migne (J.P.) (Paris, 1844, 1850).

29-Odo of Cluny, De Vita Sancti Garaldi Auriliacensis Comitis, Ch. XXXii, in Migne, P.L.

30-Pagnini della Ventura, Giovanni Frencesco, Della Decima edi Varie Altre Grauezze Imposte dal Comune di firenze. (Lucca, 1765).

31-Recueil de Documents relatifs al'Histoire de L'industrie drapiére en Flandre, (Brussels, 1906).

32-Roger of wendover's Flowers of history, Translated by J.A. Giles, (London, 1849).

33-Rolls Series, Cartularium Monasterii de Rameseia, (London, 1886).

34-Santini (P.), Documenti dell Antica Costituzione del commune di Firenze, in documenti di Storia Italiana, (Florence, 1895)

35-Sartorius, (G.F.), Urkundliche Geschichte des Ursprunges der Deutschen Hande, (Hamburg, 1830).

36-St. Thomas Aquinas, Summa Theologica Translated by Fathers of the English Dominican Province, (London, 1918).

37-Stubbs (W.), Select Charters of English Constitutional History, (Oxford, 1913).

38-Gislebert of Mons, Chronicon Hanoniense, ed. Vanderkindere, The Count of Hainault proceeds against a rebellious vassal 1176.

39-Gislebert of Mons, Chronicon Hanoniense, ed. Vanderkindere, The Feudal relief: The agreement of Philip Augustus with count Baldwin VIII of Flanders (Baldwin V of Hainault) 1192.

40-The Feudal relief: anordinance of louis IX , May 1235. E.J.De Lauriere, ordonnances de France de la troisieme race, I (1723).

41-The Heimskringla, A History of the kings of Norway, Translated from the Nerwegian of Snorri Sturlason by Samuel Laing, Esq. the Hon Rasmus B. Anderson, E.d. (New York, 1911).

42-The Red Book of the Exchequer, Hubert Hall, Ed. (H.M. Stat. off. 1896).

43-Vitry, Jacques de, the history of Jerusalem, Translated from the latin, by Auberg stewart (London, 1896).

ثانيا: المراجع الأجنبية

1- Adelson (H.L.), Medieval Commerce, (New York, 1962).

2- Archer (T.), KingsFord (C.), The Crusades, (London, 1894).

3- Arias (G.), Il Sistema della Costituzione economica a Sociale Italiana nell'etta dei Comuni, (Turdin, 1905).

4- Armstrong (L.), Ivana (E.), Martin (M.), Money, Market and Trade in late Medieval Europe, 2007.

5- Aryeh, Grabois, The Illustrated Encyclopedia of Medieval Civilization, (London, 1980).

6- Atiya (A.S.), The crusade in the later Middle Ages, (London, 1938).

7- Barraclough (G.), The origins of modern Germany, (Oxford, 1947).

8- Bloch (G.), L'Empire Romain, (Paris, 1931).

9- Boissonnade (P.), Life and work in medieval Europe, (London, 1937).

10-Brown (H.), The Venetian Republic, (London, 1902).

11-Bryce (J.), The Holy Romain Empire, (London, 1907).

12-Cave (R.C.), Coulson (H.H.), A Source Book for Medieval economic history, (New York, 1965).

13-Chapman (C.E.), A History of Spain, (New York, 1931).

14-Chapot (V.) Le Monde Romain, (Paris, 1927).

15-Cipolla (C.), Money, Prices and Civilization in the Mediterranean World, (Princton, 1956).

16-Clive (D.), A History of Commerce, (London, 1950).

17-Cohat (R.), Le Viking Roi Mers, (Paris, 1953).

18-Coulborn, Feudalism in History, (Princeton, 1950).

19-Critchely (D.S.), Feudalism, (London, 1978).

20-Duby (G.), Mandrou (R.), Histore de la Civilisation Moyen Age – XVI Siecle, (Paris,1968).

21-Eastan (S.), The era of Charlemagne, (New York, 1961).

22-Firebaugh (W.), Inns of the Middle Ages, (Chicago, 1924).

23-Ganshof (F.L.), Feudalism, (London, 1952).

24-Gauvard (C.), La France au Moyen Age du V au XV siecle, (pairs, 1996).

25-Grande, Encyclopedie, T. Dixieme, (Paris,S.D.).

26-Halphen (L.), Peuples et civilisations histoire generale, L'essor de L'europe (XI – XIII Siecles), (Paris, 1941).

27-Hazlitt (W.C.), The Venetian Republic "its Rise – its Growth – its fall", 2 Vols, (New York, 1966).

28-Hefel, Leclere, Histoire des Counciles, (London, D.N).

29-Hénri See, Histoire É Conomique et al France, (Paris, 1929).

30-Hodgson (F.C.), The Early History of Venice, (London, 1901).

31-Hollister (C.W.), Medieval Europe A short History, (New

York, 1990).

32-Holmes (G.), The Oxford History of Medieval Europe, (New York, 1992).

33-Hoyt (R.S.), Chodorw (S.), Europe in the Middle ages, (New York, 1976).

34-Hubert (H.), Les Germains, (Paris, 1952).

35-Imbart de la tour, Histoire de la Nation Francaise, (paris, 1920).

36-Jarrett, Bede, O.P., Social Theories of the Middle Ages Translation by Father Jarrett of serm. Xcii, in Merchatis, by Humbert de Romans (Ernest Beun, London, 1926).

37-Kantorowacz (E.), Fredrick the second, (London, 1931).

38-Karsten (T.E.), Les Anciens Germains, (Paris, 1931).

39-Kendrich, History of the Vikings, (London 1930).

40-Kleinclausz (A.), Charlemagne, (Paris, 1934).

41-Koenigsberger (H.G.), A History of Europe, Medieval Europe, 400 – 1500, (New York, 1994).

42-Lamb (H.), Charlemagne, (London, 1963).

43-Lavisse (E.), Histoire de France, (Paris, 1901)

44-Lopez (R.), Raymond (I.), Medieval Trade in the Mediterranean World, (New York, 1955).

45-Lot (F.), Les Invesions Germaniques, (Paris, 1935).

46-Marc – Bloch, Feudal Society, (London, 1978).

47-Masson (B.A.), Medieval France, (London, 1945).

48-Mawer (A.), The Vikings, (London, 1964).

49-Mumford (L.), The City in History, Its Origins, Its Transformations and Its Prospects, 2. Vols, (New York, 1961).

50-Mundy (J.H.), Europe in the High Middle Ages 1150 – 1309, (London, 1993).

51-Myers (P.V.N.), Medieval and Modern History, (London, 1923).

٥٢- Nicholas (D.), The Evolution of the Medieval World: Society, government and thought in Europe, 312 – 1500, (London, 1992).

53-Oliver of Paderborn, The Capture of Damietta, Trans., John, d. Cavigan, (Philadelphia, 1948).

٥٤- Orton (C.W.P.), Outlines of medieval History, (Cambridge, 1924).

55-Painter (S.), A History of the middle ages, 284 – 1500, (New York, 1954).

- Forward of the life of Charlemagne, (New York, 1961).

56-Perroy (É.), Histoire Generale des Civilisations, le Moyen age L'expansion de L'orient Renaissance de la Civilisation occidentate, (Paris, 1955).

57-Perry, Louis IX, (London, 1967).

58-Petit – Duteaillis, The Guinard, Histoire Generale, Histoire du Moyen Age, (Paris, 1937).

- The Feudal monarchy in France and England from the tenth to the thirteenth century, (London, 1936).

59-Pirenne (H.), Cohen (G.), Focillon (H.), Histoire Generale,

du Moyen Age, La Civilisation occidentale au Moyen Age du XI au Milieu du XV siecle, (Paris, 1933).

60-Pirenne (H.), Les Villes et les Institution, urbaines 2 Vols, (Paris, 1939).

61-Pullen (B.), Sources for the history of Medieval Europe from the mid-eighth to the mid-thirtenth century, (Oxford, 1971).

62-Ramsay (D.), Universal History Americanised, (New York, 1819).

63-Renard (G.), Guilds in the middle Ages, Tr. by G.H. D. Cole, (London, 1919).

64-Rowling (M.), everyday life in medieval times, (New York, 1968).

65-Setton (K.M.), A History of the Crusades, (Wisconsin, 1969).

66-Singman (J.L.), Daily life in Medieval Europe, (London, 1999).

67-Southern (R.W.), The making of the middle ages 1150 – 1309, (London, 1993).

68-Staley (E.), The Guilds of Florence, (London, 1906).

69-Stephenson (C.), Medieval Feudalism, (New York, 1942).

- Medieval History, (New York, 1951).

70-Stevenson (W.B.), The Crusaders in the East, (Cambridge, 1907).

71-Thatcher (O.J.), A Source Book For Medieval History, (New York, 1992).

72-The Cambridge Medieval History, (Cambridge, 1948).

73-The Monk of Saint Gall, the life of Charlemagne, trans. By A.J. Grant, (London, 1926).

74-The New Encyclopaedia Britannica, London, 1974.

75-Thiriet (F.), Histoire de Venise, (Paris, 1961).

76-Thompson (J.W.), Johnson (E.N.), Medieval Europe 300 – 1500, (New York, 1965).

77-Tout (T.F.), Medieval Town – Planing, (Machester, 1917).

- The Empire and the Papcy, (London, 1924).

78-Ullmenn (W.), The Growth of Papal Government in Middle Ages, (London, 1955).

79-Unwin (G.), The Gilds and Companies of London, (London, 1988).

80-Valentin, Histoire de venise, N. D.

81-Williamson, From Feudalism to Despotism, (London, 1925).

82-Workman (H.B.), The Evolution of the Monestic Ideal, (London, 1927).

ثالثا : المصادر العربية :

(١) ابن البيطار: ضياء الدين أبي محمد المالقي الأندلسي، ت٦٤٦/هـ/١٢٤٨م، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، أربعة أجزاء، القاهرة، ١٢٩١هـ.

(٢) ابن جبير: محمد بن أحمد، ت/٦١٤هـ/١٢١٧م، رحلة ابن جبير أو تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، طبع بمدينة ليدن، ١٩٠٧م.

(٣) ابن حوقل: أبو القاسم محمد، ت/أواخر القرن الرابع الهجري، كتاب صورة الأرض، ليدن، ١٩٣٨م.

(٤) ابن خرداذبه: ت/ حوالي ٢٣٦هـ/٨٥٠م، كتاب المسالك والممالك، ليدن، ١٨٨٩م.

(٥) بامخرمة: أبو محمد عبد الله بن أبي الطيب، ت٩٣٧/هـ/ تاريخ ثغر عدن، جزءان، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٦) الدمشقي: أبو الفضل جعفر بن علي، ت/أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق/ البشري الشوربجي، القاهرة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

(٧) الشيزري: عبد الرحمن بن نصر، ت٥٨٩هـ/١١٩٣م، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق/ السيد الباز العريني، القاهرة، ١٩٤٦م.

رابعا : المراجع العربية والمعربة :

(١) أ. باركر، الحروب الصليبية، ترجمة/السيد الباز العريني، ط٤، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٦٧م.

(٢) إدوار بروي وآخرون، القرون الوسطى، ترجمة/ يوسف أسعد داغر، فريدم داغر، ط١، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م.

(٣) أرشيبالد. ر. لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ٥٠٠-١١٠٠، ترجمة/ أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.

(٤) بالار. م. ، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، ترجمة/ بشير السباعي، ط١، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ٢٠٠٣م.

(٥) ب. غريمان، م. باكو وآخرون، أوروبا من العصور القديمة وحتى بداية القرن الرابع عشر، ترجمة/ أنطوان . أ. الهاشم، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

(٦) ج. ج. كولتون، عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، ترجمة/ جوزيف نسيم، ط٢، دار المعارف، الاسكندرية، ١٩٦٧م.

(٧) جرجس رفائيل، بلسان الشفاء في علاج الربا، مطبعة المحيط، القاهرة، د.ت.

(٨) ج. كرامب وأ. جاكوب، تراث العصور الوسطى، ترجمة/ سعيد عاشور وآخرون، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٩٤م.

(٩) جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٥م.

(١٠) جودة حسنين جودة، قارة أوروبا (دراسات في الجغرافيا الإقليمية)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٠م.

(١١) جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م.

- تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

- نشأة الجامعات في العصور الوسطى، الاسكندرية، ١٩٨٤م.

(١٢) ج. و. كوبلاند، الإقطاع والعصور الوسطى بغرب أوروبا، ترجمة/ محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٥٥م.

(١٣) حاتم عبد الرحمن الطحاوي، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام، ط١، عين للدراسات، البحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٩م.

(١٤) حسن حبشي، الحرب الصليبية الأولى، القاهرة، ١٩٤٧م.

(١٥) د. آجيوس، ر. هيتشكوك، التأثير العربي في أوروبا العصور الوسطى، ترجمة/ قاسم عبده قاسم، ط١، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ٢٠٠٠م.

(١٦) درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، الاسكندرية، ١٩٧٠م.

(١٧) ر. لوبيز، ثورة العصور الوسطى التجارية ٩٥٠-١٣٥٠م، ترجمة/ محمود أحمد أبو صوة، منشورات ELGA، مالطا، ١٩٩٧م.

(١٨) زينب عبد المجيد عبد القوي، اليهود في انجلترا العصور الوسطى ١٠٦٦-١٢٩٠م، ط١، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(١٩) ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة/ السيد الباز العريني، ط٣، بيروت، ١٩٩٣م.

(٢٠) سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، ط٢، دار المجمع العلمي، جدة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٢١) سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، جزءان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٤م.

- الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٥٩م.

- الحركة الصليبية (صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى)، جزءان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٩م.

- السيد البدوي شيخ طريقة، القاهرة، د.ت.

(٢٢) سميرة يونس عبد القادر، النورمان والدولة البيزنطية في القرن الحادي عشر الميلادي، ط١، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٩٥م.

(٢٣) سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية (الحملة الصليبية الثالثة) ج٣١، دمشق، سوريا، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

(٢٤) س. ورن. هلستر، أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة/ محمد فتحي الشاعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨م.

(٢٥) السيد الباز العريني، الحضارة والنظم الأوروبية في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣م.

- الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٦٥م.

(٢٦) السيد محمد عاشور، الربا عند اليهود، دار الاتحاد العربي، القاهرة، ١٩٧٢م.

(٢٧) شارل ديل، البندقية جمهورية أرستقراطية، ترجمة/ أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٨م.

(٢٨) عادل زيتون، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى (بحث في النشاط التجاري للجمهوريات الإيطالية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط ق١٣-١٤م)، ط١، دار دمشق، ١٩٨٠م.

(٢٩) عبد الحميد البطريق، تاريخ أوروبا الحديث من عصر النهضة إلى

مؤتمر فيينا، مطابع جامعة الرياض، د.ت .

(٣٠) عبد العزيز محمد الشناوي، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥م.

(٣١) عبد المنعم ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م.

(٣٢) عزيز سوريال عطية، العلاقات بين الشرق والغرب (تجارية – ثقافية – صليبية)، ترجمة/ فيليب صابر سيف، ط١، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٢م.

(٣٣) عفاف سيد صبره، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٢م.

- دراسات في تاريخ الحروب الصليبية (دور الفقهاء وعلماء المسلمين في جهاد الصليبيين)، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٨٥م.

- العلاقات بين الشرق والغرب (علاقة البندقية بمصر والشام في الفترة من ١١٠٠-١٤٠٠م)، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٣م.

(٣٤) علي السيد علي محمود، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، ط١، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٣٥) علية عبد السميع الجنزوري، الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

(٣٦) فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية ومايعادلها في النظام المتري، ترجمة/ كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م.

(٣٧) ف. هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة/ أحمد محمد رضا، جزءان، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م.

(٣٨) فكتور مرجان، تاريخ النقود، ترجمة/ نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م.

(٣٩) قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية (الأيديولوجية - الدوافع -

النتائج)، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ٢٠٠١م.

(٤٠) كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة/ أحمد الشيخ، ط١، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م.

(٤١) ل. ج. شيني، تاريخ العالم الغربي، ترجمة/ مجد الدين حنفي ناصف، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت.

(٤٢) ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ الروس من خلال المصادر العربية، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٤٣) م. بيشوب، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة/ علي السيد علي، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

(٤٤) محمد محمد مرسي الشيخ، النظم والحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٦م.

(٤٥) محمد مؤنس أحمد عوض، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ط١، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ١٩٩٥م.

- الحروب الصليبية (العلاقات بين الشرق والغرب)، ط١، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ١٩٩٩م.

- الرحالة الأوروبيون في العصور الوسطى (نماذج مختارة)، ط١، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ٢٠٠٤م.

(٤٦) محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥-١٢٩١م، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٥م.

- حضارة أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.

- الحملة الصليبية الخامسة، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

(٤٧) ممفورد (لويس)، المدينة على مر العصور (أصلها وتطورها ومستقبلها)، إشراف وتقديم/ إبراهيم نصحي، جزءان، القاهرة، ١٩٦٤م.

(٤٨) ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، ترجمة/ الياس شاهين،

دار التقدم، موسكو، الاتحاد السوفييتي، ١٩٨٦م.

(٤٩) نظير حسان سعداوي، تاريخ انجلترا وحضارتها في العصور القديمة والوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٨م.

(٥٠) نعيم فرج، الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، ط٢، منشورات جامعة دمشق، سوريا، ٢٠٠٠م.

(٥١) نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.

(٥٢) نقولا زيادة، عالم العصور الوسطى في أوروبة، ط١، المكتبة العصرية، القدس، فلسطين، ١٩٤٧م.

(٥٣) نرو الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوروبة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥٤) هـ. أ. ل. فشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة/ محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني، جزءان، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م.

(٥٥) هـ. بيرين، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (الحياة الاقتصادية والاجتماعية)، ترجمة/ عطية القوصي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م.

(٥٦) هـ. ل. ب. موس، ميلاد العصور الوسطى ٣٩٥-٨١٤م، ترجمة/ عبد العزيز توفيق جاويد والسيد الباز العريني، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٧م.

(٥٧) هـ. و. ديفز، أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة/ عبد الحميد حمدي محمود، ط١، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٥٨م.

(٥٨) يوشع براور، عالم الصليبيين، ترجمة/ قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن، ط١، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ١٩٩٩م.

خامسا : الدوريات الأوروبية :

1- Britnell (R.H.), English Markets and Royal Administration before 1200, in the economic history Review, New Series, Vol.

31, No. 2, May, 1978.

2- Menadier (J.), "Urkunden und Akten zur Aachener Münzgeschte", Zeitschrift Für Numis Matik, XXXI, 1914.

3- Pirenne (H.), Les Overdraghes et les portes d'eau en Flandere au XIII Siecle, in essays in Medieval History, Presented to Tomas – Frederch Tout, Manchester, 1925.

4- Pirenne (H.), un Conflit enter le magistrate Prois et les gardes des foires des Champagne, in bulletin de le commission Royal d'histoirede, Belginm, T. IXXX VI, 1922.

5- Sayous (A.), les operations des banquier Italiens en Italie et aux Foirs des champagne pen dent le XIII siecle, in Revue historiaque, T. CI XX, 1932.

6- Ashtor (E.), Studies, on the Levantine trade; The Karimi Merchants, Journal of the Royal Asiatic Society, London, 1956.

7- Ashtor (E.), Studies on the Levantine trade; Quelques observations d'un orientaliste sur la Thèse de Pirenne, Journal of Economic and Social History of the orient 13, Leiden, 1970.

سادسا : الدوريات العربية والرسائل العلمية :

(١) الأمين عبد الحميد أبو سعدة، التوظيف السياسي لرفات القديسين ومتعلقاتهم المقدسة في أوروبا العصور الوسطى، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد الخامس والثلاثون، أغسطس ٢٠٠٤م.

(٢) توفيق اسكندري، نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية في العصر الوسيط، المجلة التاريخية، المجلد السادس ١٩٥٧م.

(٣) حياة ناصر الحجي، الأهمية التاريخية لميناء عيذاب من منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي إلى منتصف القرن الثامن الهجري/الرابع

عشر الميلادي، ندوة البحر الأحمر عبر عصور التاريخ، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٤) سهى إبراهيم محمد منصور، جامعة اكسفورد نشأتها وتطورها خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، ٢٠٠٤-٢٠٠٥م.

(٥) صبحي لبيب، سياسة مصر التجارية في عصري الأيوبيين والمماليك، المجلة التاريخية المصرية، المجلدان ٢٨، ٢٩، ١٩٨١-١٩٨٢م.

(٦) عطية القوصي، أضواء جديدة على تجارة الكارم، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٢٢، ١٩٧٥م.

(٧) عفاف صبره، الإمبراطورية والدولة في عصري فردريك الثاني ولويس التاسع، بحث في مجلة كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، عدد ١٩٨٢م.

(٨) ليلى عبد الجواد إسماعيل، السياسة الخارجية للمملكة اللاتينية في القسطنطينية (١٢٠٢-١٢٦١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٠م.

(٩) نجلاء مصطفى عبد الله شيحة، مدينة القسطنطينية في القرن العاشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٩م.

(١٠) هناء بنت محمد الراشد، التاريخ السياسي لإمارة قطالونيا ودورها التجاري في القرنين السادس – السابع الهجري/ الثاني عشر – الثالث عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية التربية، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

ياسر عبد المعبود عبد الله، جامعة باريس ودورها في النهضة الفكرية بأوروبا في العصر الوسيط، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٢-٢٠٠٣م.